

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢] . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ . إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الاحزاب : ٧٠] . أما بعد :

فان اصدق الحديث كتاب الله ، واحسن الهدى هدى محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . أصبحت الديمقراطية شعاراً يرفع وراية يُعملُ تحت لوائها يغنون لها ويتاجرون على حسابها بل أصبحت نظاماً للحكم في العديد من الدول حتى هذه التي تقول ان دينها الرسمي هو الإسلام ، وتصورت قطاعات كبيرة من البشر ان المشاكل التي يعانون منها سببها الرئيسي هو غياب الديمقراطية الحقيقية وانهم يأخذون الديمقراطية بالقطارة ويمن حكامهم عليهم بهذه القطرات البسيطة وكأنهم يدفعون من جيهم الخاص وان الانظمة الديكتاتورية تمنع حق الناس في التنعم بظلال الديمقراطية ويوم تطبق الديمقراطية بجذافيرها فسيعيشون في جنة على ظهر الأرض وانهم سيواصلون مسيرة الجهاد لتحقيق هذه المكاسب الديمقراطية بل وخرج بعض من ينتسب للعلم الشرعي يهتف هو الآخر بالديمقراطية الاسلامية وطالما ان في الإسلام شورى اذا فالديمقراطية نظام اسلامي ولا مانع من اضافة هذه الكلمة للإسلام كما اضيفت من

قبل كلمة الاشتراكية وغيرها للإسلام من هنا كان واجباً ان نقف هذه الوقفة مع هذه الكلمة التي اصبحت تمثل منهجاً للحياة نستين معها معنى كلمة الديمقراطية وكيف نشأت ونزنها بميزان الكتاب والسنة ونبين فيها حكم من ينادى بالديمقراطية وهي وقفة واجبة باذن الله تعالى ، لان الدين النصيحة كما قال ﷺ في حديث تميم الداري الدين النصيحة (ثلاثاً) « قلنا لمن يا رسول الله قال الله (عز وجل) و لكتابه و لرسوله و لائمة المسلمين و عامتهم » [رواه مسلم] وخصوصاً أنه قد شاع هذا المصطلح وتكلم به الرجال والنساء والكبار والصغار وكثير منهم يظن انه يحسن الصنع عندما يلوكه بلسانه دون فهم لمعنى الكلمة وما يراد من ورائها فيا عباد الله الحياة بغير الله سراب ﴿ يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ ماءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ . والعيش بغير منهج الله ضياع ونكد ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾ [طه : ١٢٤] ويا حسرتنا على العباد الذين باعوا دينهم بديننا غيرهم واضاعوا انفسهم بمناهج وضعية كفرية واتبعوا أمر كل جبار عنيد واتبعوا كل شيطان مرید فاللهم بك نصول وبك نجول وبك نحارب وفي سبيلك نجاهد ، آمنا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وأيقنا ان الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ﴿ وَإِنَّهُ لَكُنزِيلٌ مِّن رَّبِّ العَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبىِّ مُبِينٍ ﴾ ونسأل الله تعالى ان يجمع قلوبنا على دينه وان يجعلنا من الذين يعلمون الحق وبه يعدلون . اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبساً علينا فنفضل واجعلنا للمتقين اماماً . وصلّى اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد النبى المصطفى والرسول المحببى ﷺ وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الاسكندرية في

٥ من رجب ١٤١٠ هـ

١ من فبراير ١٩٩٠ م

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .
أما بعد : فهذه الطبعة تصدر في تلك الآونة العصيبة من تاريخ هذه الأمة وقد
تفجرت أحداث الخليج واشتعلت الحرب في المنطقة وكان من أخطر نتائجها ،
تلويح حاكم أمريكا بإقامة نظام عالمي واحد تنزعه أمريكا وهذا النظام هو
الديمقراطية وهذا يفسر لنا التحولات التي تجرى في البلدان الشيوعية الآن لإقامة
نظم ديمقراطية بل ويفسر لنا أيضاً تصريحات حكام دول المنطقة بتطبيق الديمقراطية
الإسلامية عقب الإنتهاء من الحرب . وقد زعم هؤلاء أن الإسلام هو التطبيق
المثالي للديمقراطية !!

ولاشك أن هذه من أخطر الدعوات التي أفرزها الموقف في الخليج والتدخل
الأمريكي . وقد كثر الحديث في أيامنا هذه عن الإجماع الدولي والشرعية الدولية
ومكان هذه الكلمات المستوردة قد أصبحت هي البديل عن الإجماع الذي يعرفه
المسلمون من مثل قوله تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصير ﴾ . وهذا
الإجماع المعتبر هو إجماع العلماء المجتهدين في عصر من العصور على حكم شرعي
والشرع مبناه على الكتاب والسنة ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله
ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
ضلالاً مبيناً ﴾

فهل الإجماع الدولي والشرعية الدولية كذلك ؟ وإذا كان مرد الأمور عند
المسلمين لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ فلا عبرة إذن ولا إلتفات لقرارات
الهيئات المشبوهة مثل هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ويتأكد ذلك إذا صادمت
هذه القرارات كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أو كانت على حساب مصلحة
الإسلام والمسلمين .

ومن الواضح أن هذه الهيئات تكيل بمكيالين وتزن بميزانين ومن أصرح الأمثلة على ذلك ، إغتصاب اليهود لفلسطين وإنتهاك الحرمات وترويع الآمنين ومحاولتهم إقامة هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى ، فهل حركت هيئة الأمم ساكناً ؟ وهل ردت الحقوق لأصحابها ؟ والإجابة على ذلك أنها لم ولن تفعل ، إن عقد الإخاء وثيق بين ملل الكفر ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ ولذلك حذرنا منهم رب العزة جل وعلا فقال سبحانه ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبلاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر ﴾ .

روى الإمام أحمد عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قلت لعمر رضى الله عنه : لى كاتب نصراني ، قال : مالك قاتلك الله ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ ألا اتخذت حنيفاً ، قلت يا أمير المؤمنين لى كتابته وله دينه ، قال : « لا أكرمهم إذ أهانهم الله ولا أعزهم إذ أذلهم الله ولا أدينهم وقد أقصاهم الله » .

وروى الإمام أحمد ومسلم أن النبي ﷺ خرج إلى بدر فنبهه رجل من المشركين فلحقه عند الحرة ، فقال : إني أردت أن أتبعك وأصيب معك ، قال : « تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا . قال : ارجع فلن أستعين بمشرك » . ومن هذه النصوص يتبين لنا تحريم تولية الكفار أعمال المسلمين التى يتمكنون بواسطتها من الإطلاع على أحوال المسلمين وأسرارهم ويكيدون لهم بالحق الضرر بهم .

والناظر فى الأحداث الدائرة الآن سيجد بالإضافة لتمزيق الأمة وتفتيتها وإزهاق أرواح الأبرياء دون وجه حق وتدمير آلة الحرب العراقية وإستيلاء القوى الأجنبية على منابع البترول فى الخليج والتحكم فى اقتصاديات المسلمين وجعل أمريكا بمثابة القبلة التى يتوجه إليها البشر لإقامة الحق والعدل بل والشرطى الذى يحقق ذلك — نقول بالإضافة لذلك كله فقد أوشك مفهوم الولاء والبراء أن يضيع ويمح فى حس

المسلمين ولا نغالى إذا قلنا أن المستفيد من هذه الحرب هم اليهود والصليبيون والشيعيون والروافض أصحاب ثورة إيران . فنعوذ بالله من الفتنة ما ظهر منها وما بطن ، فهي فتنة تريبو وتزيد عن فتنة التتار والحملات الصليبية . وثورة الزنج والقرامطة ، وفي الوقت الذى تعالت فيه الصيحات مطالبة بالرجوع لدين الله وتطبيق شرع الله فى السياسة والإقتصاد والإجتماع والأخلاق وكانت هذه الصحوة الإيمانية الوليدة التى يخشى الشرق والغرب بأسها ولذلك ما كادت شرارة الحرب تندلع حتى أتى أعداء الإسلام والمسلمين بخيلهم وخيلائهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . ولا يكاد يمر علينا يوم إلا ونسمع فيه التصريح بهذا النظام العالمى الواحد ، وقد لا يستغرب هذا بالنسبة للغرب إذ النصرانية التى يدين بها — وإن كان قد تفلت منها — هى عبارة عن بعض الأخلاق والأحكام لا تقيم نظاماً متكاملأ للحكم ، هذا بالإضافة إلى الهزيمة التى مُنيت بها الكنيسة هناك فانفصل الدين عن الدولة ولذلك فالمعارك الحزبية فى الغرب تجرى بعيداً عن ساحة الدين . وقد أصبحت معظم أنظمة الحكم فى عالمنا المعاصر تنقسم إلى نوعين أساسين :

الأول : هو ما يطلق عليه إسم النظام الشمولى القائم على فكرة الحزب الواحد أو التنظيم الواحد وهو لا يسمح بالتكامل المعارض .

الثانى : هو النظام الديمقراطى ومن سماته التعدد الحزبى ، وتعتبر المعارضة ركيزة من ركائزه الأساسية . ومن عجيب الأمر أن يتنادى الأمراء والملوك بالأخذ بالنظام الديمقراطى مرددين بذلك مقولة حاكم أمريكا ، فبدلاً من أن ينيبوا إلى ربهم ويتوبون إليه ويحْكَمون شريعته حتى يرفع كربه ومقته عن هذه الأمة إذا هم يتسابقون فى تقديم فروض الولاء والطاعة للكفار والملاحدة .

فما هى العلاقة بين الإسلام والديمقراطية والله عز وجل يقول : ﴿ إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ وقال أيضاً : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ وعلى النقيض تماماً نجد مبادئ الديمقراطية تقول إن الحكم للشعب بالشعب لصالح

الشعب . فالإله المعبود عند الديمقراطيين هو الشعب ولاشك أنها صورة من صور الوثنية العصرية .. فأى علاقة تربط بين الإسلام والكفر .. قال تعالى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ فالمسلم يُخضع أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته لشرع الله تعالى ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ ﴿ فما من صغيرة ولا كبيرة إلا ولها حكمها في دين الله ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله .

وختاماً : فالواجب على المسلمين أن يراجعوا إسلامهم ويطبقوا كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ وأن يتحرروا من روح الإنهزامية الشديدة التي تأسر قلوبهم وليعلموا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وعلى كل من أراد سعادة الدارين والنجاة في الدنيا والآخرة ، أن يسلم وجهه لله . فالإسلام هو الطريق الوحيد للنجاة .. وهو سفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ، وهو دين الله عز وجل وشريعته الحكيمة الباقية المعصومة إلى قيام الساعة .

« وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين »

١ - واقع البشرية ونظريات الإصلاح :

عندما ذهب البشرية تلتمس الهدى في غير شرع رها ضلت وأضلت ولم تجد السعادة التي كانت تنشدها ولا الراحة التي كانت تتلمسها وذلك لأنها أسلمت رقبته لبشر سماتهم النقص والقصور لا يدركون كثيراً من مصالحهم الحقيقية فضلاً عن أن يقودوا البشرية الى حياة الخير وبر النجاة ، ثم تنازع هؤلاء الذين انحرفوا عن منهج خالق الخلق ومالك الملك في حجر الزاوية واساس الإصلاح فقال البعض البداية تكمن في الاصلاح الاقتصادى وبصلاحه تنصلح الدنيا بأسرها وخالفهم فريق آخر فقال بل اساس كل صلاح أو إصلاح هو الحكم والسياسة وظهرت نظريات وفلسفات وخرجت جيوش من المصلحين يعالجون عوج البشرية وباليتهم اذ شخصوا الداء عرفوا دواءه واستقاموا على منهج الله بل كانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار فعالجوا الانحراف بانحراف والعوج بعوج آخر ، وقامت العلوم الانسانية في الغرب وفي مقدمتها التربية على اساس خطيرة وهذه الأسس باختصار شديد .

١ - النظرية المادية التي لا تعترف بوجود الخالق جل وعلا وتضع مكان كلمة الله عبارة الطبيعة واصبحت الطبيعة هي الاله الجديد عند الغرب الذى يعطى ويمنع ويمقتضاها يسير الكون وفق هذا النظام المحكم الدقيق ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] .

٢ - النظرية التي تخضع الانسان لمفهوم الحيوان سواء من ناحية النفس (وهذه نظرية فرويد) أو المعدة (كارل ماركس) أو مسئولية المجتمع (نظرية دور كايم) .

٣ - نسبية الأخلاق باعتبار ان الأخلاق ليست من الدين ولكنها عادات وتقاليد .
وهؤلاء جميعاً اخطأوا الطريق ولا يشفع لهم حسن نواياهم ان وجدت وهم خالفوا مقتضى العقل والفترة والكتب المنزلة والانبياء المرسله في آن واحد لما تباعدوا عن دين الله الذى ارتضاه للعالمين ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللطيفُ

الخَيْرُ ﴿ [الملك : ١٤] . ومعرفة الواقع من حيث هو واقع امر مطلوب ومشروع إذا أردنا ان نهض من كبوتنا وان نبلغ رسالة ربنا للخلق كافة من باب عرف الشر لا للشر ولكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه . ولحديث حذيفة رضى الله عنه قال : « كانت الناس تسأل رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى/فقلت ... من البخارى » وكما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « يهدم الإسلام إذا نشأ فيه من لا يعرف الجاهلية فقلت يا رسول الله إنا كنا أهل جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير » رواه البخارى . والجاهلية صور مكرورة لا تقتصر على حقبة زمنية ولا على مكان دون آخر وقد ذكر لنا منها القرآن عدة صور مثل ١ - تبرج الجاهلية ﴿ وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [الأحزاب : ٣٣] . لكون المرأة كانت تظهر خصلة من شعرها أو تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال . ٢ - حمية الجاهلية ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح : ٢٦] . ٣ - حكم الجاهلية ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] . ٤ - ظن الجاهلية ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ [رواه البخارى] . ولما سمع النبي ﷺ احد الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً يعير أخاه بأمه قال له ﴿ انت امرؤ فيك جاهلية ﴾ ولا شك ان غفلة البشرية وانسلاخها اليوم عن دين الله امر لا يخفى على احد فانتشرت الجريمة والظلم والانحلال والفضائح السياسية وانعدمت الاخلاق بالرغم من التقدم المادى ووجدت مشكلات كثيرة يتولد بعضها عن بعض ويؤثر بعضها فى وجود بعضها الآخر والاحاد الآن يعتبر ام المشكلات واحدى مظاهر العصر وهو عبارة عن كفر بالخالق وميل عن طريق اهل الإيمان ومع طغيان موجة الاحاد أصبحت الكنيسة بمزعبلاتها اثراً من آثار الماضى واختفت تقريباً عدة نحل : مثل الهندوكية والبوذية امام مد الاحاد الغربى والحياة العصرية بل العالم الإسلامى والذى يقر بالتوحيد نوعاً ما لم يسلم من هذه الموجات الاحادية التى اصبحت تشكك بعض ابنائه فى دينهم والاحاد الآن هو الدين الرسمى المعبر عنه بالعلمانية اللادينية فى كثير من بلدان الغرب والشرق على حد سواء ... الأمر الذى ولد فى النهاية ما يسمى بحضارة القلق على قول

البعض وإذا كان الواجب علينا معرفة التوحيد وما ينافيه من الشرك والحلال والحرام والفرائض بما تصح وبما تبطل والأمور التي تستصلح بها القلوب كالصبر والشكر والاحلاص فان من الواجب على الانسان ايضا اذا وقعت شبهة ان يتعلم من دين الله ما يستدفع به هذه الشبهة عن نفسه وما اكثر الشبهات والنظريات والفلسفات التي يوج بها الواقع ! مثل الاشتراكية والديمقراطية والفرعونية وزمالة الاديان وبسبب الجهل بواقعها وحقيقتها انحرفت فيها قطاعات من الناس ينادون بها ويصرخون بتطبيقها والعيش في ظلالها يفعلون ذلك مع صلاتهم وصيامهم ولا يجدون حرجاً من الخلط بين الإسلام وغيره من النظم والفلسفات .

٢ - الصراع بين الحق والباطل :

وهذه السنة من اهم السنن الربانية ان يدور صراع بين الحق متمثلاً في دين الحق الذى ارتضاه ربنا للعالمين من لدن آدم حتى قيام الساعة وبين غيره من النظم والدساتير والفلسفات والمناهج المعوجة والمنحرفة عن الإسلام وفي ذلك يقول تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة: ٢٥١] . ويقول سبحانه ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ، الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج : ٤١] . واعظم معروف هو اخلاص العبودية لله جل وعلا وأول منكر هو عبادة غير الله من الطواغيت والاهواء والشهوات والاعراض عن شريعة الله فإذا ثبت اصحاب الحق وصبروا وصابروا تحقق لهم وعد الله بهزيمة الباطل وهذا الصراع لا تنبيه معركة واحدة ولا حتى مئات المعارك اذ انه يتخذ عدة اشكال ويمتد في مساحات طويلة تجعل الإنسان يقضى حياته كلها في هذا الصراع وقد يهدأ في بعض الجوانب ويشتد في جوانب أخرى واستمراره يأتي من كثرة الاعداء في الداخل والخارج ، من النفس والاقارب والأموال والازواج ومن الشيطان وجنوده ومن الكفار على اختلاف ألوانهم وأشكالهم يهوداً كانوا أو نصارى أو ملاحدة ، والانسان وهب من القدرات والقوى ما يستطيع به مع توفيق الله وهدايته من السيطرة

والانتصار ، وهذا الصراع بدأ مع خلق آدم وأمر ابليس بالسجود له فامتنع محتجاً بشرف عنصره وانه خلق من نار فكيف يسجد من خلق من نار لمن خلق من الطين فخاب اللعين وخسر عندما اعترض على امر ربه ولم يذعن ولم يخضع له بل ولم يستغفر ربه حين عصى بل تمادى في غيه وسأل الله النظرة والمهلة الى يوم القيامة وقال رب ﴿ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُعْتَوْنَ ﴾ [الحجر : ٣٦] . واقتضت حكمة الله إمهاله الى يوم القيامة قال : ﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ [الحجر : ٣٧] . وجعل يطيف بآدم فوجه خلق خلقاً أجوف فقال لمن سلطت عليك لأهلكتك ولئن سلطت عليّ لأعصيك . فوسوس لأبينا آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة التي نهى عن الأكل منها واقسم لها بالله انه لها لناصح ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَذَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٣] . لم يعهدا من قبل ان يجدا مخلوقا يقسم بالله كذباً ولذلك يقول العلماء من خدعنا بالله اتخذنا له ثم أمر الجميع بالهبوط الى الأرض ﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة : ٣٦] . وقطع ابليس عهداً على نفسه فقال ﴿ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُضًا ﴾ [النساء : ١١٨] . وقال : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر : ٣٩] . وقال أيضاً : ﴿ ثُمَّ لَأَنْيِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧] . وحذر رب العزة عباده من كيدِه ووسوسته فقال : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾ [الأعراف : ٢٧] . وامتد الصراع الى بنى آدم وبنى ابليس وبين لنا ربنا جلّ وعلا ان الشيطان ﴿ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] . وانه لا حجة له في اغواء العباد ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الإسراء : ٦٥] وكل سلطان في القرآن فهو الحجة كما قال ابن عباس رضى الله عنهما « الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور

والذين كفروا أوليائهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات » [البقرة : ٢٥٧] .
صراع بدأ ولم ينته بل ولن ينتهى حتى تنتهى الحياة وفى الحديث ﴿ الجهاد ماض فى
أمتى لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل حتى يقاتل آخر رجل من امتى المسيح
الذجال ﴾ ضعيف السند وله شواهد كقوله مثل ﴿ الجهاد ماض مع كل بر
وفاجر ﴾ من رواية مكحول عن اى هريرة ولم يسمع منه ... وفى الحديث الآخر
« الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة » رواه البخارى ومسلم .
وقد انحرف كثير من الناس عن منهج ربه ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ
إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سبأ : ٢٠] ولذلك يقول تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِى
الشُّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٣] وروى البخارى عن اى سعيد الخدرى رضى الله عن رسول
الله ﷺ قال ﴿ يقول الله تعالى : يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك
فيقول : أخرج بعث النار قال وما بعث للنار قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة
وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما
هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قالوا وأينا ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا فإن
منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف ﴾ رواه البخارى فى كتاب الأنبياء باب قصة
يأجوج ومأجوج . ولذلك يقول تعالى ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ
مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق : ٣٠] . فالحق لا يعرف بكثرة ولا بقلة ولكن اعرف الحق تعرف
اهله واعرف الباطل تعرف من آتاه واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين
واياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين ﴿ وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ
يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام : ١١٦] . ﴿ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .
والشيطان فى حربه وصراعه لبنى آدم لا ينام كما قال الحسن حين سأل أينام الشيطان
قال لو نام لاسترحنا وإذا كنا نتغافل عن مهمتنا فان الشيطان يواصل الليل بالنهار
فى سبيل انفاذ وعده وتابعه على ذلك خلق كثير أصبحوا من أوليائه بل وفاقوه فى حيله
كالتلميذ الذى يفوق استاذه يواصلون الليل والنهار فى المكر والكيد للإسلام
والمسلمين وشنوا على هذه الأمة حرباً لا هوادة فيها واستخدموا فى هذه الحرب كل
صور الأسلحة ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ

الكافرون ﴿ [الصف : ٨] . حرب عسكرية وسياسية واقتصادية وحرب فكرية أو ما يسمى بالغزو الفكرى وهو اعنفها واطلقوا على الأمة سهاماً كثيرة بحيث من لم يصبه سهم أصابه السهم الثانى أو العاشر وكانت الديمقراطية هى احدى هذه السهام الخبيثة التى اطلقت على الأمة بالاضافة الى نحل وفلسفات ونظريات وركزوا فى سبيل ذلك على كل القطاعات من رجال ونساء وكبار وصغار واستخدموا كل الوسائل من اذاعة وتليفزيون ومجلات وجرائد ولم تسلم مناهج التعليم فى مختلف المراحل من هذا الدس وحشدوا من أجل ذلك جيوشاً جراحة من الساسة والزعماء والمفكرين ورجال الأدب لترويج هذه النظريات والفلسفات فى أوساط المسلمين الذين يؤمنون بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً بل وحاول اصحاب هذه المذاهب الفكرية فى فلسفة مذاهبهم وتأييدها ان يجدوا سنداً تاريخياً لها فى الوقت الذى حرصوا على تشويه تاريخ هذه الأمة الاسلامى لإبعاد المسلمين اكثر واكثر عن دينهم واتوا للأمة بمخالات البشر ووضعوهم فى مقام القدوة والقيادة وأضفوا عليهم ألقاب البطولة والزعامة نادوا بالتغريب وبأخذ كل ما عليه الغرب حتى هذه النجاسات الموجودة فى امعاتهم لكى تتطور الأمة كما تطور هؤلاء ومن بين هؤلاء مصطفى كمال أتاتورك الذى وصف بالبطولة وأنه محرر الشعب التركى من سلطة السلاطين واتخذ مثلاً لكثير من الثورات فى البلاد العربية حتى ان شوق بعد الانتصار المريب على الانجليز أنشد يقول « الله اكبر كم فى الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب » ولكن ما لبث ان ظهر على حقيقته حيث ألغى الخلافة واللغة العربية حتى فى الاذان وألغى المحاكم الشرعية وفرض العلمانية اللادينية على الشعب التركى ونزع الحجاب ثم ظهرت الوثائق التاريخية فأثبتت عمالته للإنجليز وصلته بالماسونية حتى انه عندما حضرته الوفاة استدعى السفير الانجليزى وطلب منه ان يتولى حكم تركيا من بعده فاعتذر السفير بلباقة حتى لا تتكشف العمالة ، واذا كان الصراع قديماً وعقد الاخاء وثيق بين كل قوى الكفر فلتستمع لما يقوله كاسترو (رئيس كوبا) للسفير الإسرائيلى فى بلاده « على إسرائيل ألا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعاً إسلامياً دينياً حتى لا يجعل من حركتهم شعلة من نار الحماس الدينى مما يجعل من المستحيل على إسرائيل ان تصون كيانها لان الفداء اذا تملكته عقيدة دينية وبخاصة فى المجتمعات الإسلامية تلاشت

امامه كل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية « الإسلام والحضارة الانسانية لمحمد خفاجى » والباطل صورة مكرورة فقد أرسل اللورد اللينبى الى وزارة الخارجية البريطانية وذلك بعد تحريه شهراً وكانت انجلترا قد غيرت مندوبها ابرق يقول :

١ — الثورة تنبع من الأزهر وهذا امر له خطورته .

٢ — أفرجوا عن سعد زغلول وارسلوه الى القاهرة . ورجع سعد زغلول ليصرف الثورة من ثورة دينية الى ثورة وطنية تنادى بتحرير التراب ويشترك فيها الجميع وقال قولته المشهورة « الدين لله والوطن للجميع » وكانت مفاوضات وتفاهات اطلق عليه اسم المكاسب الوطنية خرج بعدها سعد زغلول ليقول « خسرنا كل المعاهدة وكسبنا صداقة الانجليز » ويقول « الانجليز خصوم شرفاء معقولون » ثم يأتي بعد ذلك لطفى السيد استاذ الجيل ليقول « ان الانجليز هم اولياء امورنا فى الوقت الحاضر وليس السبيل أن نحاربهم بل السبيل ان نتعلم منهم ثم نتفاهم معهم . ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور : ٤٠] . وإلا فماذا ينتظر من الذين تربوا على موائد الغرب تارة وموائد الشرق تارة اخرى ونسوا أو تناسوا دينهم فى سبيل نقل بعض معالم التطور ، ولم يفرق الكثيرون بين ما يجوز نقله وبين ما لا يجوز اعتباره ولا اخذه فالعلوم الدنيوية كالزراعة والصناعة والهندسة والطب تؤخذ من كل من افلح فيها بخلاف الهداية الإلهية فى العقيدة والشريعة والاخلاق والحكم فهى من الإسلام وحده لا غير . وهكذا حورب الإسلام بيد ابنائه بعد ان كان يحارب بيد اعدائه ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٢١] . وسنة التدافع المذكورة فى القرآن انما هى لخير البشرية ولتحقيق منهج العبودية لله عز وجل فى ارضه وازالة كل طاغوت يعبد من دون الله وحتى يكون الدين كله لله فلا بد من شد العزائم لتحقيق المجتمع المسلم الذى ينفذ أمر الله وشرعه . وفق قاعدة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿ وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُؤَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١] ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت : ٣] ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

عَزِيزٌ ﴿ [المجادلة : ٢١] ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ
الدِّينِ كُلِّهِ ﴿ [الفتح : ٢٨] .

٣ - ميزان وضابط

لابد لنا من ميزان وضابط نزن به انفسنا قبل الناس ان وافقناه كنا على حق وان
خالفناه وجب علينا أن نراجع انفسنا وفقه ونحاسبها على اساسه والمسلم دينه الإسلام
وهو يجرى منه مجرى الدم من العروق ولا حياة له بدونه ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ
وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ
مِنْهَا ﴿ [الأنعام : ١٢٢] ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي
مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ
لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [الشورى : ٥٢] فلا تتصور سعادة ولا هناة في البعد
عن دين الله ولذلك ينتقل الناس من كرب إلى شقاء ومن تعاسة الى نكد كلما
ازدادوا بعداً عن منهج حياتهم وصلاحهم ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ
وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿ [طه : ١٢٤] . ومن رحمة الله تعالى
أن حفظ لنا الإسلام وحفظ أيضاً من يقوم به ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿ [الحجر : ٩] . بل وحفظت السنة أيضاً في دواوين الإسلام وميز لنا
العلماء الاجلاء بين صحيحها وضعيفها فكان الإسلام بمثابة واقعا تطبيقياً فقد
اقام النبي ﷺ دولة بالمدينة واتسعت رقعتها بعد ذلك لتشمل ارجاء المعمورة
وهذه الدولة حكمت بدين الله سياسة واقتصاداً واجتماعاً واخلاقاً وكان لها عهود
وعقود ومعاملات وسياسة داخلية وخارجية وعلى ذلك درج الخلفاء من بعده
وهذا الأمر لا يخفى إلا على من اعمى الله بصيرته فلم يبصر الشمس في رابعة النهار
ثم خرج يزعم بعد ذلك ويقول اين نظام الإسلام في السياسة أو الحكم أو
الاقتصاد ومثل هذا لم يرجع لكتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ وتناسى الواقع
التطبيقي للإسلام في ازهى عصوره ﴿ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم ﴿ متفق. عليه ومن طالع كتب الفقه والحديث والتفسير والسير وجد
تفاصيل ذلك كله ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُنِيرٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴿ [المائدة: ١٥] . وما بعد النور الا الظلام والعمى والحق ابلج والباطل يبلج لجلج وعلى الحق نور وهو واحد والباطل كثير لا ينحصر والبدع كثيرة وطرق الغواية كذلك وهى عبارة عن فلسفات وتصورات ومذاهب تختلف فيما بينها وتشتبك فى انها ضلال وبعد عن الحق والحقيقة وازاء الطريق المستقيم الذى رسمه الله لعباده وامرهم بسلوكه سنجد طرقاً متعرجة متشابكة وظلام متكاثف ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿ [الأنعام: ١٥٣] هذا الطريق المستقيم طريق طويل ويمتد ابتداءه ربنا جل وعلا بآدم (أبو البشر) وكان نبياً مكلماً وسار فيه الأنبياء والصالحون وكلهم أسلم وجهه لله واستقام على دين الله وقام بواجب العبودية لله رب العالمين ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿ [البقرة: ١٣٢] . لم يعتمدوا على حولهم وقوتهم ولا على عقولهم وعلومهم وكانوا يحذرون الرأى والهوى فى دين الله فلم يتدعوا ولم يخترعوا ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴿ [يونس: ١٥] . وما خلت الأرض من قائم لله بحجة ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَلَّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴿ [النساء: ١٦٥] ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿ [فاطر: ٢٤] .

وأتباع الحق هؤلاء قد يقولون هنا ويكثرون هناك يدعون غيرهم لطريق الأمن والإيمان حتى وان سخر بهم واستهزأ منهم ، وكما ورد (ولا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك) ، واذا كان كل نظام له عقيدة فالعقيدة ليست مختصة بالإسلام بل كل ديانة أو مذهب لابد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم وهذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الجماعات والعقائد منذ بدء الخليقة الى اليوم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسمان :

١ — العقيدة الصحيحة وهى العقيدة الحققة التى جاء بها الرسل الكرام فى أى زمان ومكان وهى عقيدة واحدة لانها منزلة من العليم الخبير ولا تختلف من رسول الى رسول ومن زمان الى زمان ولذلك يخطىء من يقول الأديان

السماوية لأن الدين واحد لا يتعدد ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] وهو الذى بعث به نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ ولكن تعددت الشرائع وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع .

٢ — العقائد الفاسدة وفسادها من كونها نتاج افكار البشر ومن وضع عقلائهم ومفكرتهم ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدوداً مقيداً بقيود متأثراً بما حولهم من عادات وافكار وقد يأتى فساد العقيدة من تحريفها وتغييرها وتبديلها كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية فى الوقت الحاضر فانهما حرفتا منذ عهد بعيد ففسادها كان من هذا التحريف وان كانت عقيدة سليمة فى الأصل واستبدلت التوراة بالتلمود والانجيل المنزل على عيسى عليه السلام باثنى عشر انجيلاً اتفقوا على أربعة منها وطرحوا الثانية الأخرى وكلها تحريف وتغيير ولذلك يصادم بعضها بعضاً ، فمن أراد ان يعرف العقيدة السليمة فإنه لن يجدها فى اليهودية ولا فى النصرانية ولا فى كلام الفلاسفة وانما يجدها فى الإسلام فى اصله : الكتاب والسنة تقنع العقل بالحجة والبرهان وتملأ القلب إيماناً و يقيناً ونوراً و حياة ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] . ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبِّياً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك : ٢٢] .

٤ — بعض خصائص وسمات الإسلام :

وإذا كان الإسلام هو الميزان والضابط ، وهو الحاكم وكل شىء من الأنظمة والمناهج والفلسفات محكوم عليه وهو يعلو ولا يعلى عليه وهو الصبغة التى صبغنا الله بها والدين الذى ارتضاه سبحانه للعالمين على اختلاف ألوانهم وألسنتهم فى كل زمان ومكان فلا شك أنه حوى واتسم بخصائص ومميزات تؤهله لذلك ومن اعظم هذه الصفات والخصائص : —

فالإسلام من عند الله وهو وحيه سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٤] . وجبريل هو ملك الوحي الذي كان ينزل بأمر الله على المرسلين كموسى وعيسى ورسول الله ﷺ والقرآن الكريم بلفظه ومعناه من عند الله ونقل اليينا نقلاً متواتراً حفظته السطور والصدور ان تضل احدهما فتذكر احدهما الأخرى - والسنة المطهرة الصحيحة معناها من عند الله واللفظ لرسول الله ﷺ .

وإذا كانت النظم الوضعية مصدرها الانسان بقصوره وعجزه فإلإسلام مصدره رب الإنسان وخالقه ومليكه الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى يقول تعالى ﴿ وَأَنْتَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [العنكبوت : ٦] . ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] ﴿ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَأُرَبِّبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [السجدة : ٢] . وقد أوجب ربنا علينا اتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الانعام : ١٥٥] . والنبي ﷺ صادق مصدوق ﴿ وَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم : ٣] . والنظم والفلسفات وان رفعت راية العدل وتحقيق المساواة وغيرها إلا انها فى الحقيقة عبارات جوفاء لا رصيد لها من الصحة فى الأعم الأغلب من الأحوال والتمييز بين الناس على اساس اللون أو الجنس ما يزال موجوداً حتى عند اكثر الدول تحضراً كما يزعمون فى القرن العشرين فمن النصوص القانونية فى بعض الولايات الامريكية « ان النكاح بين شخصين ابيض وآخر زنجى يعتبر نكاحاً باطلاً » بل يحرم القانون عندهم اى دعوة لافرار المساواة أو الزواج بين البيض والسود اين هذا الظلم الصارخ من قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] . وفى الحديث الشريف الذى اورده القرطبى فى تفسيره عن الطبرى باسناده عن من شهد خطبة رسول الله ﷺ بنى فى وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال ﴿ يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن اباكم واحد ألا لا فضل

لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى ألا هل بلغت؟ قالوا نعم، قال: ليلغ الشاهد الغائب ﴿

وعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال: فقال رسول الله ﷺ ﴿أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟ ثم قام فخطب ثم قال: إنما اهلك من قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدود وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ﴿ متفق عليه . وروى الامام البخارى في صحيحه أن النبي ﷺ قال لأبي ذر لما قال لرجل من المسلمين يا ابن السوداء ﴿ إنك امرؤ فيك جاهلية ﴿ .

والعقيدة ولاشك هي الضمان لحسن تطبيق النظام والمؤمنون الذين يرجون ربهم ويخافون سوء الحساب يتقادون لأمر ربهم سراً وعلانية ويخافون على انفسهم من مخالفته وعصيانه ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ [الأنعام : ١٥] . أما القوانين والمبادئ الوضعية التي شرعها الانسان فانها لا تظفر بهذا المقدار من الاحترام والهيبة اذ ليس لها سلطان على النفوس ولا تقوم على اساس من العقيدة الحقنة والايان الصحيح كما هو الحال بالنسبة للإسلام ولهذا فان النفوس تجرؤ على مخالفة القانون الوضعي كلما وجدت فرصة لذلك وقدرة على الافلات من ملاحقة القانون وسلطان القضاء ورأت هذه المخالفة موافقة لاهوائها وتحقيقاً لرغباتها . والواقع خير شاهد على ما نقول ولننظر بعد ذلك كيف اتى معازر والغامدية لرسول الله ﷺ وأقرا على نفسيهما لاقامة الحد عليهما لما زنيا فيرجعهما النبي ﷺ مرة بعد أخرى وهما يصران على تطهير نفسيهما لاشك أن رقابة الله وخوف الله هو الذي دفعهما لذلك ولما نزل تحريم الخمر يروى انس ويقول كانت الكؤوس تدار على رأس أبى طلحة وأبى عبيدة وأبى دجانة وسهيل بن بيضاء ومعاذ بن جبل إذ سمعنا ان الخمر قد حرمت يقول فما دخل علينا داخل وما خرج منا خارج حتى كان منا من اغتسل ومنا من توضأ وأصبنا من طيب أم سليم ثم خرجنا الى المسجد وفي رواية قلنا (انتهينا ربنا

انتبهنا) قالوا ذلك لما سمعوا قول ربه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ، إِنَّمَا يُرِيدُ
الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَعَنْ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠ - ٩١] . فكانت المسارعة بالتنفيذ
دون تلكؤ أو تردد أو شك أو ارتياب . وقام المسلمون الى زقاق الخمر فأراقوها والى
دنانه فكسروها وغرقت شوارع المدينة يومئذ بالخمير . ولما شرعت امريكا قانون تحريم
الخمير سنة ١٩٣٠ وبموجبه حرم بيع الخمور وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها
مهدت له بدعاية بـ (٦٥) مليون من الدولارات وكتبت تسعة آلاف مليون صفحة
في مضار الخمر ونتائجه وعواقبه وانفق ما يقرب من (١٠) عشرة ملايين دولار من
أجل تنفيذ القانون وقتل في سبيل تنفيذ هذا القانون ماثما نفس وحبس نصف مليون
شخص وغرم المخالفون له غرامات بلغت ما يقرب من اربعة ملايين دولار وصدورت
اموال بسبب مخالفته قدرت بألف مليون دولار ثم قاموا بإلغاء القانون في أواخر سنة
١٩٣٣ . كان يكفهمهم مع الايمان قوله سبحانه ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ
مُنْتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩١] . ليقولوا انتبهنا ربنا .

٢ - الشمول :

فلاإسلام حكمه في كل قضية من قضايا الحياة سواء تعلقت بالفرد أو الجماعة ،
بالمسجد أو بالسوق بالسياسة الداخلية أو الخارجية ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ويقول تعالى ﴿ مَا قَرَرْنَا فِي
الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] . فهي على قول بعض المفسرين تتعلق بالقرآن
فكل قضية لها حكمها في كتاب الله اما اجمالاً واما تفصيلاً والافعال أو الاقوال التي
تصدر عن الانسان بل الخلق والافكار التي تدور في النفوس أو القلوب لها
حكمها في دين الله وهي تأخذ حكماً من الاحكام الخمسة (واجب ومندوب ومباح
ومكروه وحرام) والانسان الذي حمل الامانة على ظلمه وجهله اذا نصب من نفسه
مشرعاً وإلهاً مع الله لا بد وان تتسم تشريعاته ونظمه ومناهجه بالظلم والجهل والقصور
والهوى والنقص — ولذلك رأينا القوانين والنظم الوضعية تفصل فصلاً مريباً بين

القواعد الاخلاقية والقواعد القانونية فلا مكان فيها للاخلاق في الوقت الذى امتزجت فيه الاخلاق بالاحكام الشرعية امتزاجاً كاملاً فلا ضرر ولا ضرار والمعصية لا تواجه بالمعصية والخطأ وتحصر على تقوى الله فيمن لا يتقى الله فينا وهذا الالتزام يتأكد في اخرج الظروف وادق الاوقات ولذلك لما أتى ابو جندل يستصرخ بالمسلمين يوم الحديبية وكان النبي ﷺ قد ابرم الاتفاقية أو العهد مع ابيه (سهيل بن عمرو) امره النبي ﷺ ان يرجع وقال له : ﴿ يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً واعطيناهم على ذلك عهد الله وانا لا نغدر بهم ﴾ وقال أيضاً : ﴿ انا لا يحل في ديننا الغدر ﴾ من قصة الحديبية — البخارى وأحمد — وابن اسحاق فهذا معنى من معانى شمول الشريعة فالعهد كان يبرمها النبي ﷺ الذى اقام دولة بالمدينة وفق شرع الله وفي ذات الوقت امتزجت المعانى الاخلاقية بالوعود والعهود امتزاجاً لن تجد مثله في السياسات الميكافيلية والغاية فيها تبرر الوسيلة كما هو معلوم بل ويقرر الفقهاء المسلمون ان الاجنبى (غير المسلم) اذا دخل اقليم الدولة الإسلامية بامان ولمدة معينة لا يجوز تسليمه الى دولته اذا طلبته خلال هذه المدة ولو على سبيل المفاداة بأسير مسلم عندها ويبقى المنع من تسليمه قائماً حتى لو هددت دولته الدولة الإسلامية باعلان الحرب عليها اذا لم تسلمها اياه وذلك لان على الدولة الإسلامية ان تفى بعهودها له فيبقى آمناً لا يسه سوءه وتسليمه بدون رضاه غدر منها بعهدها له ولا رخصة فيه بل ولا يصح تسليمه حتى وان قتلت دولته جميع رعايا الدولة المسلمة المقيمين في ارضها لأن فعلها ظلم ولا مقابلة بالظلم والمسلم وهو يتعامل مع الخلق لا ينسى خالقه وقد أمر ان يعطى كل ذى حق حقه ويقول الرسول ﷺ ﴿ يا عثمان إني لم اومر بالرهبانية ارغبت عن سنتى ؟ قال لا يا رسول الله قال إن من سنتى ان اصلى وانام وأصوم وأطعم وانكح واطلق فمن رغب عن سنتى فليس منى يا عثمان إن لأهلك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ﴾ رواه الدارمي وقال الألبانى اسناده جيد ، ويعلم ان قضاء القاضى ومحكم الحاكم وفتوى المفتى لا تقلب الحلال حراماً ولا تحول المعصية إلى طاعة قال رسول الله ﷺ ﴿ انكم تختصمون إلىّ وانا أنا بشر ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض وأنا اقضى لكم على نحو مما أسمع منكم

فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه وإنما أقطع له قطعة من النار يأتي بها
 يوم القيامة ﴿ متفق عليه وبالتالي فلا يحل لمسلم ان يبيع لنفسه فعل الحرام أو أكله
 وان اباح له ذلك القضاء ولان الحاكم يحكم حسب الظاهر والله يتولى السرائر ولان
 مناط الثواب والعقاب في الآخرة على حقائق الافعال ونيات الانسان وما ارتكبه من
 حلال أو حرام والعبرة بالمقاصد لا بالالفاظ وفي ظل الشمول سنعلم انه لا فصل بين
 العلم والعمل ولا بين الدين والدولة ولا بين الدنيا والآخرة ولا بين الأرض والسماء ولا
 بين الصلاة والسياسة ولا بين الاخلاق والحكم ولا بين الزكاة والاقتصاد ولا بين ساعة
 وساعة ولا بين رجل ورجل فلا يصح بعد ذلك ان نقول : دع ما لقيصر لقيصر وما
 لله لله أو الدين لله والوطن للجميع ورجال الدين ورجال الدولة أو ساعة لربك
 وساعة لنفسك أو اليوم خمر وغداً أمر ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] . وقوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 إِلَيْكَ ﴾ [المائدة : ٤٩] . لا ينفصل عن قوله تعالى ﴿ إِنْ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء : ١٠٣] . وقوله سبحانه ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ
 خِيَاةٍ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ، إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .
 لا يتباعد عن قوله جل وعلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
 وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨] .
 وقوله سبحانه ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ
 وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] . خرج من مشكاة واحدة هو وقوله سبحانه ﴿ إِنْ
 الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] . وتقرأ في الأمر بالشورى ﴿ وَأْمُرْهُمْ
 شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] . وفي ايتاء الزكاة ﴿ وَوَيْلٌ
 لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾ [فصلت : ٦] اداء الامانة ﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ
 تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء : ٥٨] . وفي الميراث ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ
 الْأُنثَىٰ ﴾ [النساء : ١١] . وفي تحريم الربا ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
 الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] . وفي عقوبة السارق ﴿ وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا

جَزَاءً بِمَا كَسَبْنَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ ﴿ [المائدة : ٣٨] . وفي التعزيز ﴿ وَجَزَاءً سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ [الشورى : ٤٠] . وفي علاقة الابن بالديه ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [العنكبوت : ٨] . وفي علاقته بزوجته ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] . شمول واضح وظاهر لكل ناحية من نواحي الحياة ولو ذهبنا نستطرد لنقلنا آيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ والذي لم ينتقل الى الرفيق الاعلى إلا بعد ان اكمل له ربه الدين واتم عليه النعمة ورضى لنا الإسلام ديناً وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وقد بين لنا واعطانا من كل شيء علماً وحتى لا نحتاج بعد ذلك لهذه الزبالات التي تفتقت عنها عقول البشر واعتبروها مناهج وفلسفات ونظريات ومن بينها الديمقراطية .

٣ - العموم :

فالنبي ﷺ ليس نبياً للعرب فقط وانما للبشرية كافة ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] . وقال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف : ١٥٨] . ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] . ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص : ٨٨] . ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة : ١٩٣] . فهذه الرسالة للابيض والأصفر والاحمر والأسود ويقول النبي ﷺ ﴿ أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويسيروا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ﴾ متفق عليه ولذلك توجه الصحابة ومن بعدهم بهذه الدعوة الى رستم الفارسي وهنا وهناك وارسل النبي ﷺ الى هرقل يدعوه الى الإسلام وقال له : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اسلم تسلم يؤتك الله اجرک مرتين وان توليت فإن عليك اثم الأريسيين

(أى الفلاحين) وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، إِلَى قَوْلِهِ: فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿﴾ رواه مسلم . وكانت الفتوحات الإسلامية لاعلاء كلمة الله في الأرض بل هذه الرسالة تعدت الانس الى الجن ﴿﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴿﴾ [الأحاف : ٢٩] . فالجن حين تنادت بذلك قالت انزل من بعد موسى ولم يقولوا انزل من بعد عيسى وذلك لان التوراة شريعة مستقلة مثل القرآن بعكس الانجيل فهو عبارة عن الاخلاق والآداب والاحكام التي اضيفت الى التوراة . واصبحت مكملة لها ولذلك يسمون التوراة بالعهد القديم وعموم الشريعة الإسلامية وبقاها وعدم قابليتها للنسخ والتبديل والتغيير بالتنقيص والزيادة . كل ذلك استلزم ان تكون قواعدها واحكامها ومبادئها وجميع ما جاءت به على نحو يحقق مصالح الناس في كل عصر ومكان ويفى بحاجاتهم ولا يضيق ولا يتخلف عن اى مستوى عال وصحيح يبلغه البشر بل بلوغ درجة الكمال البشرى المقذور انما يحدث بالاستقامة على دين الله لا شىء سواه والعليم الخبير هو الذى جعلها عامة في المكان والزمان وخاتمة لجميع الشرائع ﴿﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿﴾ [الملك : ١٤] . ويقول النبى ﷺ ﴿﴾ فضلت على الانبياء بست : اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت لى الخلق كافة وختم لى النبىون ﴿﴾ رواه مسلم والترمذى فجاءت الاحكام والقواعد صالحة لكل زمان ومكان ومهيئة للبقاء والاستمرار تحقق مصالح العباد فى العاجل والآجل والدنيا والآخرة وتدرأ عنهم المفاسد والاضرار فى العاجل والآجل ايضاً حتى قال بعض العلماء ان الشريعة كلها مصالح اما درأ مفاسد أو جلب مصالح والمصلحة تتحقق أتم تحقيق بالرجوع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعدم مخالفة شرع الله ﴿﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . ﴿﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿﴾ [البقرة : ١٧٩] . ﴿﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ

مُنتَهُونَ ﴿ [المائدة : ٩١] . ولذلك شرعت الرخص عند وجود المشقات كأباحة الفطر في رمضان للمريض والمسافر والضرورات وتبنيح المحظورات وتقديرها كأباحة اكل الميتة لمن خاف الهلكة ولم يجد مباحاً والضرر يزال ولا ضرر ولا ضرار . وجاءت نصوص الشريعة بحفظ الضروريات الخمس وهي (الدين والنفس والعقل والنسل والمال) ولحفظ الدين شرع الإسلام العبادات والجهاد وعقوبة المرتد وزجر من يفسد على الناس دينهم ولحفظ النفس شرع النكاح والقصاص وتحريم إلقاء النفس في التهلكة ولزوم دفع الضرر عنها . وشرع لحفظ العقل تحريم الخمر والمخدرات والنسل شرع الإسلام لايجاده الزواج ولحفظه عقوبة الزنى والقذف وحرمة اجهاض المرأة الحامل إذا استتم الجنين أربعة أشهر باتفاق العلماء ... ولحفظ المال شرع الإسلام لتحصيله انواع المعاملات من بيع وشراء ونحو ذلك وشرع لحفظه حرمة اكل مال الناس بالباطل أو اتلافه بلا وجه سائغ مشروع والحجر على السفية وتحريم الربا وعقوبة السرقة . كما وردت النصوص ايضا بتحصيل حاجيات الانسان (كالطلاق اذا لم تعد الحياة الزوجية تطاق) والتحسينيات (كالطهارة للبدن والثوب وستر العورة والنهي عن بيع الانسان على بيع اخيه والنهي عن قتل النساء والأطفال في الحروب) . يقول ابن القيم عن شريعة الله إن : « مبناه وأساسها على الحكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها فكل مسألة خرجت من العدل الى الجور ومن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان أدخلت فيها بالتأويل فالشريعة عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه » ا . هـ . ولا يمكن ان نغلق باب الاجتهاد أمام من تمهدت له أسبابه وحصل أدوات الاجتهاد والنظر في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والشريعة بما حوت من مبادئ (كالشورى والمساواة والعدل وازالة الضرر) واحكام تفصيلية في كل ناحية من نواحي الحياة لا يمكن ان تضيق بحاجات الناس المشروعة ولا تعجز عن تحقيق مصالحهم الحقيقية في اى زمان ومكان — ومصادر الشريعة سواء أكانت أصلية وهي الكتاب والسنة أو المصادر التبعية كالإجماع والقياس وغيرها ولله الحمد جاءت في غاية القدرة والاستعداد للبقاء والعموم بحيث لا يحدث شئ جديد إلا وللشريعة حكم فيه بالنص الصريح أو بالاجتهاد الصحيح وبالتالي لا تضيق الشريعة

بالوقائع الجديدة والحوادث المستجدة والصحابة رضوان الله عليهم كانوا اذا لم يجدوا نصاً قاسوا الاشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر .

٤ - الجزء :

وخاصية الجزء تختلف كثيراً عن عقيدة الفداء والخطيئة وصناديق الغفران عند النصرارى فمن اذنب فعليه ان يبادر بالتوبة وتأخير التوبة ذنب يجب التوبة منه ويشرع الستر على الانسان اذا لم يكن مشهوراً بارتكاب الفواحش « من أتى شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فإن من ابدى لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله . وفي رواية ابي داود يقول النبي ﷺ لهزال (وهو الذى أتى بما عجز الأسلمى لرسول الله ﷺ لما زنى) « لوسترته بثوبك لكان خيراً » ويقول تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [النور : ١٩] . ولا يجب على الانسان ان يذهب الى الحاكم لاقامة الحد عليه اذا زنى مثلاً لان النبي ﷺ أرجع ماعزاً والغامدية مرة بعد أخرى وفي الحديث ﴿ عن عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى » ان لا نشرك بالله شيئاً ولا ننزى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتاناً نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه في معروف — قال : فان وقيتم فلکم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئاً فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وان سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله ان شاء عذب وإن شاء غفر ﴾ رواه البخارى ومسلم . والتوبة تمحو كل ذنب كفرأ كان أو دونه ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] . ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩] . ونحن لا نفرح بكثرة عدد المحدودين أو المرجومين ولا يصح أن نأخذ الناس بالشبهات فالحدود تدرأ بالشبهات وروى ابن حزم بسند صحيح ان عبد الرحمن بن حاطب كانت له نوبية صامت وصلت وهى اعجمية لا تفقه وكانت ثيباً فحملت فأرسل اليها عمر بن الخطاب فسألها : أحبلت ؟ قالت نعم من مرعوش بدرهمين فاستشار عثمان عن عفان وعلى بن ابي طالب وعبد الرحمن بن عوف فقال على وعبد الرحمن وقع عليها الحد اى الرجم فقال عثمان أراها تستهل به كأنها لا تعلمه وليس الحد الا على من علمه فقال لعثمان صدقت والذى نفسى بيده

ما الحد إلا على من علمه ثم امر بجلدها مائة وتغريبها عاماً تأديباً لها لتهاونها في السؤال
 عن الحرام والحلال في امر دينها . وورد في صحيح البخارى ان امرأة بالمدينة كانت
 تظهر في الإسلام السوء وفي رواية أخرى « كانت اعلنت في الإسلام » وفي رواية لابن
 ماجه « فقد ظهر منها الريية في منطقتها وهيئتها ومن يدخل عليها » ولكن لما كانت
 جريمتها بدون بينة قاطعة ما أقيم عليها الحد مع أن النبي ﷺ قال عنها مرة « لو كنت
 راجماً بغير بينة لرجمتها » . ومن عجيب الأمر ان قطعاً من الناس اذا ذكر الإسلام أو
 الشريعة الإسلامية لم يتبادر لذهنه من هذه الكلمة إلا الحدود كقطع يد السارق أو
 رجم الزانى المحصن وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الغربة التى وصل إليها
 الحال ومدى الضياع الذى وصلت اليه الأمة لما تباعدت عن كتاب ربها وسنة نبيها
 ﷺ ، غفلة عن شمول الإسلام لجميع نواحي الحياة وتنظيمه لها بل وغفلة ايضاً عن
 معنى الجزاء في الإسلام والأصل في الجزاء أنه عقاب أخروي ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ
 مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا
 وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران : ٣٠] . ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
 وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٨] . وهذا من اعظم الزواجر للنفوس
 المؤمنة عن المخالفة والعصيان وربنا جل وعلا احق ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا
 ينسى وان يشكر فلا يكفر . والجزاء الأخروي لا يمنع الجزاء الذى يوقعه الحاكم على
 المخالف لاحكام الإسلام . والجزاء فى الدين أيضاً لا يمنع الجزاء فى الآخرة عن المخالف
 العاصى إلا اذا اقترنت معصيته بالتوبة النصوح فلا إصرار على الذنب بل يندم على ما
 مضى ويعزم على عدم العودة فيه مرة ثانية وقيل ان يندم بالقلب ويستغفر باللسان
 ويقلع بالجوارح — والمؤمن يعلم انه لو افلت اليوم من الجزاء الدينوى فلن يفلت غداً
 من الله فهو مالك الدنيا والآخرة والخلق خلقه والعبد عبده والأمر امره وليس يخرج
 من سلطانه الى سلطان غيره ولا من ملكه الى ملك غيره ولهذا يذهب هو بنفسه
 لاقامة الحد عليه وإستيفاء الحق منه ففى رواية لعمران بن حصين فى صحيح مسلم
 ان النبي ﷺ لما أراد الصلاة على الغامدية قال له عمر يا رسول الله اتصلى على هذه
 الزانية ؟ قال : ﴿ لقد تابت توبة لو قسمت بين أهل المدينة لوسعتهم ﴾ وفى رواية
 بريدة فى صحيح مسلم ان النبي ﷺ امر برجم الغامدية فرجموها فأقبل خالد ابن

الوليد بججر فرمى رأسها فنضح الدم على وجه خالد فسبها فقال النبي ﷺ ﴿ مهلاً يا خالد فوالذي نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له ﴾ ثم أمر بها وصلى عليها ودفنت . ونطاق الجزاء في الاسلام واسع وشامل شمول الإسلام لجميع شئون الحياة ومن ثم تعلق الجزاء في الإسلام بمسائل العقيدة والاحلاق والعبادات والمعاملات فكل مخالفة لهذه الأمور لها جزاؤها في الآخرة وقد يكون لها جزاء في الدنيا ايضا . ومجتمع يطبق فيه حكم الله على الغنى والفقير والرئيس والمرعوس لابد وان يسعد في الدنيا قبل الآخرة .

٥ - الإسلام دين الواقعية كما انه دين المثالية :

وهذه السمة الواضحة لا تنفصل عن اخواتها من صفات هذا الدين الذى امتن علينا ربنا به وشرفنا بالانتساب اليه وان نكون تحت لوائه بما فيه من عدل واعتدال وتوازن واتزان حتى وان رماه الملاحدة بالتخلف والرجعية والجمود ونسبوا لانفسهم حين نادوا بالديمقراطية وغيرها من الفلسفات والمناهج انهم اصحاب دعوات تطويرية وتحضرية وتقدمية وانهم يريدون ان يعيشوا حضارة القرن العشرين - ونحن بشر ولسنا ملائكة أولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع نصيب ونخطىء فان وافقنا الحق فذلك فضل من الله وان خالفناه فمن انفسنا ومن الشيطان والله منه برىء . ورب العزة جل وعلا لا يكلف نفساً إلا وسعها ولا يكلف عباده مالا يطيقون فالواجبات تسقط بالعدر والعجز وعدم الاستطاعة ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] . فالإسلام لا يغفل طبيعة الانسان وتفاوت الناس في مدى استعدادهم لبلوغ المستوى الرفيع الذى يرسمه لهم ولذلك فالطاعات تتفاوت من واجبات الى مستحبات والمعاصي تتفاوت كذلك من اكبر الكبائر الى الكبائر الى الصغائر والتقوى لها أصل واساس وهى ان يفعل العبد الواجبات وينتهى عن المحرمات فاذا فعل المستحبات وترك المكروهات فقد تمت تقواه لله عز وجل ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [فاطر : ٣٢] . والظالم لنفسه هو الذى غلبت سيئاته على حسناته وهذا قد يدخل النار ثم إذا دخلها فلا يدخلها دخول الكفار ولا يعذب فيها عذاب

الكفار ولا يخلد فيها خلود الكفار ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم : ٣٥] . والمقتصد هو الذى تساوت حسناته مع سيئاته وهؤلاء يوقف بهم بين الجنة والنار ما شاء الله ان يوقف بهم ثم يؤمرون فيدخلون الجنة والسابق بالخيرات هو الذى غلبت حسناته على سيئاته وهؤلاء يدخلون الجنة لأول وهلة . فالعباد يتفاوتون تفاوتاً عظيماً فى الدنيا والآخرة — وعن ابى مالك الأشعرى ان رسول الله ﷺ قال : ﴿ أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن الله عباد أليسوا بأنبياء ولا شهداء يغطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله ﴾ رواه أحمد وهو حسن وأخرجه الحاكم من حديث بن عمر وقال صحيح الاسناد ووافقه الذهبي قال الألبانى وهو كما قال . وكما قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين وقد ذكر ربنا جل وعلا أصناف الناس فى اكثر من موضع من كتابه منها سورة الواقعة وسورة المطففين — والأولياء يتفاوتون أيضاً فى درجات الولاية بحسب ايمانهم وتقواهم ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [يونس : ٦٢] . والإيمان يتضمن الإسلام ويزيد عليه والاحسان يتضمن الإيمان ويزيد عليه ولذلك يقول تعالى ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٤] . وهؤلاء كان معهم اصل الإيمان الذى منعهم من الدخول فى عداد المنافقين ولم يكن معهم الإيمان الكامل الذى يستحقون به الدخول فى هذا المعنى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ والعبد الذى يتابع الفرائض بالنوافل يصل الى درجة المحبة كما فى حديث الولي ﴿ وما تقرب الى عبدى بشئ احب الى مما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى احبه ﴾ متفق عليه والرجل عندما اتى النبي ﷺ يسأله عن الإسلام فبين له الرسول ﷺ اركان الإسلام فانطلق الرجل وهو يقول والله لا أزيد على ذلك ولا انقص منه شيئاً فقال رسول الله ﷺ ﴿ افلح ان صدق ﴾ [متفق عليه] والمستوى الارفع والاعلى حبيب الشريعة الى الناس بلوغه ولكن لم توجه عليهم والزامهم جميعاً به فى كل وقت فيه حرج والحرج فى الشريعة مرفوع وهذا من واقعية الإسلام وهذا المستوى العالى يشمل المستحبات والمندوبات وترك المكروهات فالصلاة والصيام والزكاة والحج منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب

ونافلة كصلاة الظهر والنوافل قبلها وبعدها وصيام رمضان الواجب ثم صيام الاثنين والخميس مثلاً مستحب . وفي الاعتداء تجوز المعاقبة بالمثل والعفو والصبر افضل ﴿ وَإِنْ عَقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ [الدحل : ١٢٦] . والكلام بالباطل حرام يجب تركه وهذا من معاني المستوى الادنى ثم الثثرة وكثرة الكلام بما لا يفيد ولا ينفع مكروه وان لم يكن فيه باطل لما ورد في الحديث ﴿ اتق الله حيثما كنت ﴾ رواه أحمد والترمذى وحسنه الحاكم .

• عن المغيرة بن شعبه رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : ﴿ ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعاً وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ﴾ متفق عليه . فالكلام الكثير بما لا ينفع مكروه وتركه افضل وهذا من معاني المستوى الاعلى . وقد رخص الإسلام في النطق بكلمة الكفر حال الاكراه بالتهديد بالقتل مثلاً الا ان العزيمة في مواطن اظهار الدين افضل ومن واقعية الإسلام ايجاد المخرج في اوقات الشدة والضيق أو في أحوال الاضطرار كالفطر في رمضان للمريض والمسافر وإباحة الصلاة للمريض وهو قاعد أو نائم ﴿ صل قائماً فان لم تستطع فقعداً فان لم تستطع فعلى جنب ﴾ رواه البخارى يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴿ [البقرة : ١٨٥] . وعن عائشة رضى الله عنها قالت ﴿ ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثماً فان كان اثماً كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم الله تعالى ﴾ متفق عليه . وقد نهى الإسلام عن الافراط والتفريط والغلو والجفو والاسراف والتقصير وخير الأمور الوسط . فلا رهبانية في الإسلام وتعذيب الجسد وتحميله مالا يطيق ليس من مناهج الإسلام فلذلك لما سأل الثلاثة عن عبادة رسول الله ﷺ فلما علموها وكأنهم تقالوها فقال الأول اما أنا فأصوم ولا افطر وقال الثانى وأما انا فأقوم ولا انام وقال الثالث وأما أنا فلا اتزوج النساء فلما علم النبي ﷺ بذلك قال : ﴿ اما والله انى لأنتقام لله وأكثركم له خشية اقوم وانام واصوم وافطر واتزوج النساء وهذه سنتى ومن رغب عن سنتى فليس منى ﴾ [متفق عليه] اى ليس على

هدى أو طريقتي المحمودة ، وليس له ايضا ان يعيش حياة البهائم السائمة فيتلذذ بالحرام ولا يلتفت لدين بل الواجب ان تحل ما أحل الله وان تحرم ما حرم الله وان تعظم حرمان الله ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج : ٣٢] . ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ [مرد : ١٢] وان نعيش حياة الاعتدال وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو ﴿ ألم أخبر انك تصوم النهار وتقوم الليل وقلت بلى يا رسول الله قال فلا تفعل صم وافطر ونم وقم فان لجسدي عليك حقا وان لعينيك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا وان لزورك (أى لمن يزورك من الأصدقاء) عليك حقا ﴾ رواه البخارى و مسلم . فيجب أن نحرص على شمول النظرة ونتأسى فى ذلك بخير القرون فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم عند الصلاة يصلون فى المسجد ويحرضون على ادراك تكبيرة الاحرام مع الامام وفى حلقات العلم يجلسون معلمين ومتعلمين وعند الجهاد يقاتلون وعند الشدائد والمصائب يواسون ويساعدون وهكذا كان شأنهم فى جميع الاحوال فالخير كل الخير فى الرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١] ونحن فى هذا المنهج لا نحتقر طاعة ولا نستهين بمعصية وان دقت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة : ٢٠٨] . ومعظم النار من مستصغر الشر وفى الحديث ﴿ اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ﴾ رواه الترمذي وحسنه الحاكم .

الديمقراطية

معناها — نشأتها — مبادئها .

الديمقراطية معناها الحرفي (حكم الشعب) أو حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه ، فالسلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية منبثقة من الشعب وتحكم ايضاً باسم الشعب ، والشعب باختياره الحر يقوم بتنصيب حكامه ، فالشورى وانتخاب الحاكم ومناقشة رئيس الدولة هذه هي الديمقراطية وهي تستلزم وتتضمن اعطاء الحريات للناس مثل :

١ — حرية العقيدة

٢ — حرية الرأي

٣ — حرية التملك

٤ — الحرية الشخصية .

والديمقراطية نظام مأخوذ من النظام اليوناني القديم وقد ارتبطت الديمقراطية بمبدأ سياسى واقتصادى وهو الليبرالية والرأسمالية .

تعريفات لا بد منها :

١ — الليبرالية (معناها الحرفي — الفكر الحر) وتقوم على العلمانية (أى اللادينية وليست مأخوذة من العلم) التى تفصل الدين عن الدولة فالدين لله والوطن للجميع وتدعو لحرية المرأة والتبرج والاختلاط وان يكون الاقتصاد رأسمالياً وان تكون النزعة قومية عنصرية والغرب يدين بهذا المنهج وقد قامت أحزاب على أساسه كحزب الوفد .

٢ — الرأسمالية نظام اقتصادى غربى وله عقيدته التى تقوم على العلمانية (اللادينية) — وكل نظام له عقيدة — وهذا النظام يطلق عليه البعض احياناً اسم نظام امبريالى (أى استعمارى) وأصحاب رؤوس الأموال يطلق عليهم اسم الطبقة البرجوازية .

٣ — الرأسمالية والاشتراكية وجهان لعملة واحدة وكلاهما وليدة اليهودية العالمية وكل نظام يسعى لحمل الآخر إذ سقط وفشل وفق سياسات محسوبة ، والبروليتاريا (هي الطبقة الكادحة من العمال والفلاحين) وهي التي يقولون عنها انها تناضل من اجل انتزاع حقها من البرجوازية والامبريالية .

وتحذير أيضاً لأبد منه :

فقد وفدت علينا ألفاظ ومصطلحات كثيرة مستوردة مع الغزو الفكرى واختفت كذلك كثير من المصطلحات الإسلامية وتكلم بهذه الكلمات الوافدة كالليبرالية وغيرها احياناً من لا يتهم في دين ولا صدق نية كانوا ضحايا الفكر العلماني الوافد بل ولم يسلم حتى أصحاب المدرسة العقلانية كمحمد عبده وغيره من هذه الهجمة الشرسة فالواجب علينا تحرى استعمال المصطلحات الإسلامية وان نزن كل كلمة بالميزان الشرعى هذا اذا أردنا إقامة البشرية على المنهج الربانى لا إقامة خليط من هذه المناهج والمفاهيم المتضادة وأن نعلم انه لا إلتقاء بين الحق والباطل ولا بين الهدى والضلال ولا بين الإسلام والكفر وأن الكفر ملة واحدة سواء كانوا نصارى أو يهوداً أو مشركين وثنيين أو شيوعيين وأنه لا بد من البراءة من الشرك والمشركين وإقامة الحنيفية السمحة ملة الإسلام الذى ارتضاه ربنا للعالمين .

لا مشاحة في الاصطلاح : هذا اذا كان الاصطلاح لا يصادم ما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولكل اصطلاح معنى متفق عليه عند أهله فإذا كان الاصطلاح يخالف معناه ما في الإسلام من معان فلا يجوز ذكره على سبيل الدعوة إليه وان قيد بوصف إسلامى له كما يحلو للبعض ان يصنع فيضيف الإسلام للفن أو الاشتراكية أو الديمقراطية على سبيل الترويج لهذه البضائع الفاسدة وإلا فما علاقة الإسلام بالاشتراكية الشيوعية وما علاقة الإسلام بهذا الفن الرخيص من عرى وخلاعة ورقص وغناء وفحش وتفحش فالواجب على كل مسلم ان يتقى الله في أقواله وأفعاله ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] . وقد حذرنا رب العزة جل وعلا من النطق بكلمة راعنا لأن اليهود كانوا ينطقون بها وكانت فيهم قبيحة فقد كانوا يقصدون بها التنقص من شخص رسول الله ﷺ فقال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمِعُوا ﴿ [البقرة : ١٠٤] . على الرغم من أن المسلم لا يمكن أن يكون مقصوده كمقصود اليهود وبالرغم من هذا كان التحذير والنهي « ومن تشبه بقوم فهو منهم » ولا بد من صحة العمل بالإضافة لإخلاص النية واللغة العربية هي لغة القرآن والقرآن ﴿ نَزَّلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء : ١٩٥] . فلا داعى لترويج كلمات وافدة مستوردة لا ندرى ما معناها ولا ما يراد من ورائها — وترديد كلمات كالديمقراطية فيه ترويض للعقول بقبول الديمقراطية بمعناها الحقيقي وقد أمرنا بمخالفة أهل الباطل والإبتعاد عن آرائهم الزائفة — يقول الأستاذ محمد قطب في كتاب واقعنا المعاصر ص ٣١٤ أثناء حديثه عن سعد زغلول « هنا ينبغي ان ترجع إلى لطفى السيد « والى « نازلى هانم » وإلى أثر « الصالون » بعامة فى قلب الرجل الأزهرى دارس الشريعة الإسلامية والدين الإسلامى (يقصد بذلك سعد زغلول) فإن كرومر لم يضعه فى وزارة المعارف إلا بعد أن اطمأن الى تهذيبه فى الصالون . هذه واحدة . ثم كان سعد هو الوكيل المنتخب لمجلس شورى القوانين بحكم « شعبيته » الذائعة الصيت وينبغى ان نعرف أولاً ما هو مجلس شورى القوانين إنه فى ظاهره مجلس نيابى لتعويد الشعب ان يحكم نفسه بنفسه وما كان الانجليز حريصين قط — فى أى بلد احتلوه — على أن يردوا السلطة للشعب الذى اغتصبوا حريته وأخضعوه لهم بالحديد والنار . إنما كان الهدف الحقيقى من هذا المجلس هو اصدار قوانين تحكم البلاد بدلاً من الشريعة الإسلامية وما كان الاستعمار الصليبيى — فى مصر خاصة — يرغب ان يستقل بسلطة إصدار القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية ، رغم ما له من سلطان كما صنع فى الهند مثلاً لأن مصر بلد الأزهر وبلد علماء الدين لعدة قرون ومن الخير له حسب أسلوبه الذى اتبعه فى مصر ، الاسلوب البطيىء الأكيد المفعول أن تكون هناك سلطة « شعبية » هى التى تعطى الشرعية لهذه القوانين فيكون الشعب هو الذى يصدر القوانين المخالفة للشريعة بمعرفته وبرغبته وتكون سياسة الاستعمار هى التظاهر بالغضب والإستياء من أن الشعب يريد أن يفرض إرادته على المستعمرين وفى وسط اللعبة تمر القوانين المطلوبة كأنها كسب للشعب جاء رغم إرادة الاستعمار وكان للمجلس وكيلان ، أحدهما معين والآخر منتخب وكان الوكيل المنتخب هو سعد زغلول فقد كان له فى ذلك الوقت من

الشهرة الشعبية ما يجعله ينتخب بسهولة في ذلك المكان . نعم كان هو الممثل الشعبى الذى يعبر — بمنصبه هذا — عن كون الشعب ممثلاً في المجلس ولكن اى شعب كان يمثله سعد وهو يصوغ القوانين المعارضة للشريعة الإسلامية ويمنحها الشرعية . هل هو شعب مصر المسلم الذى ينبغى بمقتضى إسلامه — أن يتحاكم إلى شريعة الله ويرفض التحاكم إلى كل شريعة غير شريعة الله — وبصرف النظر عن حال الشعب يومئذ — من إقبال على الإسلام أو إدبار أو إهمال لهذه القضية بالكلية فإن سعداً ليس فرداً عادياً من الشعب بل هو قائد وزعيم والقيادة معناها توجيه الأمة إلى ما ينبغى ان تتجه إليه وإيقاظها له ان كانت غافلة عنه وتجنيداً لها بكل طاقتها حتى تصل إلى تحقيقه — وسعد بثقافته — ليس بعيداً عن مجال الشريعة بل هي مجال دراسته في الأزهر فأين ذهبت حساسيته للإسلام حتى صار موضع فخره انه الوكيل المنتخب للمجلس الذى يصوغ القوانين الوضعية لتحكم الناس بدلاً من الشريعة الإسلامية ا. هـ. تفصيل بعد إجمال ، وشبهات وردود :

الديمقراطية العلمانية اللادينية ومبدأ فصل الدين عن الدولة

الفارق كبير بين الإسلام والديمقراطية أو العلمانية يظهر ذلك في المنشأ والطريق والغاية ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك : ٢٢] . والبصيرة تقتضى منا أن نستصحب هذه الموازين والضوابط التى تكلمنا عنها فى حكمنا على الديمقراطية وما تنطوى عليه من مبادئ وللإسلام حكمه فى كل شىء وهو يعلوا ولا يعلى عليه بما فيه من سمات الربانية والعموم والشمول وغيرها ومن لدن آدم حتى قيام الساعة لا يمكن أن تسعد البشرية بدونه وبحسب أنحرفها عن منهج الإسلام بحسب الضنك والشقاء الذى تعانية ولو جاز لنا ان نلتمس عذراً للغرب أو الشرق فى تباعده عن دين الله ومناداته بهذه المناهج والفلسفات فإننا لا نجد عذراً لهذه الأمة فى الانسلاخ عن دينها ومتابعتها للكفرة والملاحدة فى فصل الدين عن الدولة وإسلامها يناديها من يوم بدر وأحد ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَجَّزَى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤] . ومعلوم للقاصى وللدانى أن النبى ﷺ أقام دولة بالمدينة وأتسعت رقعتها فى عهده وعهد الخلفاء من بعده وكان يحكم بالإسلام لا بشىء سواه فى نواحى الحياة المختلفة يقول النبى ﷺ ﴿ تكون النبوة فيكم ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها الله إذا شاء ان يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله ان تكون ثم يرفعها إذا شاء ان يرفعها ثم يكون ملكاً عاصراً فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت ﴾ رواه احمد والطبرانى والبخارى (انظر السلسلة الصحيحة للألبانى) واذا كانت معانى الخيرية قد قلت فى الأمة جيلاً بعد جيل إلا أن حكام المسلمين كانوا يحرصون على الحكم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ وإن وجدت أخطاء فى التطبيق وظلم وجهل فى بعض الاحيان فالعيب فينا وليس فى شرع الله عز وجل وعلى العباد جميعاً

أن يستقيموا على أمر ربهم إن أرادوا سعادة وفلاحاً في الدنيا والآخرة وقد استخدم أعداء الإسلام عيوب المسلمين وأخطائهم في التشهير بالإسلام ذاته والتنفير منه حتى يتيسر لهم إقصاءه عن الدنيا وحكمها وكأن علاج المريض هو البتر والإهلاك ولا سبيل لإصلاح العوج والخلل صنعوا ذلك مع الخلافة العثمانية والعباسية والأموية بل وأمتدت أيديهم إلى تزيف وتشويه وتدليس صور الصحابة الكرام الذين نقلوا لنا الإسلام فدرسوا لنا قصة الخلاف بين علي ومعاوية وكذبوا على صحابة النبي ﷺ حين صوروهم على أنهم طالبو ملك ورياسة يتنازعون على ذلك ويحتال بعضهم على البعض الآخر ويغصرون تاريخ الأمة بعد ذلك في قصة هارون الرشيد والخلافة العباسية — خلافة الفسق والمجون — كما ذكروا — والخلافة العثمانية التي هي خلافة الجهل والفقر والمرض !! وأصبح لزاماً على أبناء الأمة المسلمة أن يتطلعوا لتاريخ الشرق والعرب المجيد وإلى عظمة الرجل الأبيض وحضارته ولكي يتم لهم التقدم والتطور فعليهم أن يقلدوا الغرب ولا سبيل لذلك إلا بفصل الدين عن الدولة فيقبع الإسلام داخل المساجد بمن يسمون رجال الدين وتحكم الدولة بعد ذلك بمن يسمون رجال الدولة « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » أو الدين لله والوطن للجميع . ثم إذا طالب الناس بالعودة والرجوع لدين الله قالوا لهم هل تريدون منا ان نعود لعهد هارون الرشيد أو عهد الديكتاتورية والرجعية والتخلف واصبحت الديمقراطية هي الحل البديل والعلمانية اللادينية هي سبيل الإصلاح عند قوم قد ضلوا وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل .

• العلمانية والعلمانيون في العالم العربي والإسلامي :

أصبحت الآن العلمانية هي اللافئة المرفوعة على انظمة الحكم في معظم بلدان العالم الغربي والإسلامي وأصبح يروج لها بكل وسائل الإعلام ويدعو ويشتر بها كتاب وساسة ومفكرون وتقوم على أساسها أحزاب تحمل مبادئها ومن دعائها (أحمد لطفى السيد — إسماعيل مظهر — قاسم أمين — طه حسين — عبد العزيز فهمي — ميشيل عفلق — أنطون سعادة — سوكارنو — سوهارتو — نهرو — مصطفى كمال أتاتورك — جمال عبد الناصر وغير هؤلاء كثير ممن لا يزالون أحياءً ينفثون سمومهم في

جسم هذه الأمة . يقول لطفى الخولى (أحد دعاة العلمانية المعاصرين) فى ندوة مناقشة ما يسمى بالتطرف الدينى وكان العلمانيون قد تجاذبوا أطراف الحديث وأدلى كل منهم بدلوه حتى وصل الكلام اليه يقول « مناقشاتنا وصلت إلى نوع من الإلتقاء على حل اىجائى هجومى يمكن أن نصوغه فى أنه لا بد أن تقام جبهة فكرية سياسية فى العمل السياسى تتبنى مشروع التقدم أو النهضة أى فى إقامة الجبهة الوطنية التقدمية من خلال حركة ديمقراطية تعتمد الديمقراطية فى التغيير » . وقد بدأت العلمانية فى أوروبا وصار لها وجود سياسى مع ميلاد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ م وقد عمت أوروبا فى القرن التاسع عشر وانتقلت لتشمل معظم دول العالم فى السياسة والحكم فى القرن العشرين بتأثير الاستعمار والتنصير الذى يطلق عليه اسم التبشير — وفى مصر أدخل الخديوى إسماعيل القانون الفرنسى سنة ١٨٨٣ م وكان هذا الخديوى مفتوناً بالغرب وكان أمله أن يجعل من مصر قطعة من أوروبا .

• الجذور الفكرية والعقائدية للعلمانية اللادينية :

١ — العداة المطلق للكنيسة بصفة خاصة وللدين بصفة عامة أياً كان سواء وقف إلى جانب العلم أو عاداه ومعلوم أن العلمانية ولدت فى أوروبا اثر الصراع بين العلم المادى التجريبي والكنيسة بمخرافاتها وخزعبلاتها وفسادها باسم الكهنوت وبيع صكوك الغفران وتحريقها لكثير من علماء المادة الذين خالفوها ترتب على ذلك انهزام الكنيسة فى النهاية امام العلم المادى التجريبي وظهرت المقولة بفصل الدين عن الدولة ومقولة « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » .

٢ — لليهود دور بارز فى ترسيخ العلمانية وإبراز العلمانية حتى يتيسر لهم السيطرة على أمم الأرض بعد تكسير حاجز الدين فى نفوس العباد ومعلوم ان اليهود يسعون من أجل إقامة دولة اليهود العالمية . عاصمتها القدس — ولذلك ولّدوا الثورات كثيرة فرنسا بمبادئها التحررية وصدروا هذه المبادئ الخربة للعميان وأستخدموا فى ذلك اذناً بهم . وما زالوا حتى هذه اللحظة يعممون نظرية العداة بين العلم فى جهة والدين من جهة أخرى على الرغم من أن الإسلام لم يقف ضد العلم والأخذ بأسباب التحضر والتقدم كما وقفت الكنيسة ويكفيها

قول الله تعالى ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : ٦٠] . وقول النبي ﷺ ﴿ المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ﴾ رواه مسلم ، ﴿ وَإِنْ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٩] . وذلك في كل ناحية من نواحي الحياة وقد أطلق بصر العباد والتدبير والتفكر في ملكوت السموات والأرض ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران : ١٩٠] . وختمت آيات كثيرة بقوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ — لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ والإعجاز العلمي بالقرآن أظهر من أن يجحده أحد وما من حقيقة تثبت في الكون ويتعرف عليها الخلق إلا وهي موافقة للسنن الشرعية وإن كان القرآن ليس كتاباً للفلك أو الأحياء إنما كتاب هداية وارشاد و العلوم النافعة تؤخذ من كل من أفلح فيها كائناً من كان والواجب على الأمة أن تسعى لإقامة حضارة على منهج العبودية لله جل وعلا والتسليم لحكمه سبحانه لاحضارات الفلق هذه الزائفة التي قامت على أساس الكفر العلماني اللاديني والتي أوشكت بل أعلنت إفلاسها ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَقُطِعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٤٥] .

• الأفكار والمعتقدات العلمانية :

- ١ — بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً — وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين منهج الله وبين حياة الإنسان .
- ٢ — الحياة تقوم عندهم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب .
- ٣ — إقامة حاجز كثيف بين الروح والمادة والأخلاق أو القيم الروحية كما يسمونها هي قيم سلبية .
- ٤ — فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي .

- ٥ — اعتماد مبدأ المكافئية فى فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق فالغاية عندهم تبرر الوسيلة .
- ٦ — نشر الإباحتية والفوضى الأخلاقية وتهديم كيان الأسرة بإعتبارها النواة الأولى — وفى بلدان العالم العربى والإسلامى ركزوا فى هجومهم وتزييفهم على عدة معان منها :
- ١ — الطعن فى حقيقة الإسلام والقرآن والنبوة .
- ٢ — الزعم بان الإسلام قد استنفذ أغراضه وهو عبارة عن طقوس وشعائر روحية .
- ٣ — الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف .
- ٤ — الدعوة الى تحرير المرأة وفق الإسلام الغربى .
- ٥ — تشويه الحضارة الإسلامية .
- ٦ — تضخيم حجم الحركات الهدامة فى التاريخ الإسلامى والزعم بأنها حركات إصلاح كالمعتزلة والخوارج .
- ٧ — إحياء الحضارات القديمة كالفرعونية فى مصر والبابلية فى العراق والأشورية فى الشام والاهتمام بالحفريات القديمة .
- ٨ — اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية من الغرب ومحاكاته فيها وإرسال البعثات إلى الخارج دون أسس أو حصانة شرعية ثم يعودون صرعى الفكر العلمانى ليقودوا الأمة قيادة لا دينية فى الوقت الذى حصلوا فيه على أعلى الشهادات العلمية .
- ٩ — تربية الأجيال تربية لا دينية وذلك حتى تتخرج أجيال يقودون البلاد والعباد قيادة علمانية بعد ذلك ولذلك اصبحت المدارس إما مدارس علمانية وإما مدارس تبشيرية (أى تنصيرية) — وقد رفض الشيوعيون كل العلوم الغربية واستبعدوها بوصفها علوماً برجوازية كما يقولون وشعروا بحاجاتهم الى بناء كافة

العلوم في ضوء المفاهيم الماركسية اللينينية بل كانوا ينقلون أبناء الأفغان المسلمين الى روسيا ليتعلموا وفق هذه المفاهيم وحتى يسهل عليهم قيادة البلاد قيادة إحادية بأمثال هؤلاء الذين تربوا على مبادئهم — فنحن في أمس الحاجة الى إعادة صياغة المناهج التعليمية والتربوية وفق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وفارق كبير بين الصياغة الإحادية التي تخرج أجيالاً من الملاحدة وبين الصياغة الإيمانية التي تخرج علماء مؤمنين يتكلمون بلسان المسلمين ويفكرون بعقليتهم ويقودون البلاد قيادة إيمانية يتأسون فيها بخير القرون ويمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام فمن قال ان الإسلام يعني التخلف ومحارب العلم المادى كان الرد ان يمتلك المسلمون القوة وان يتعلموا ومن قال ان الإسلام لا يصلح لحياة الناس كان الرد هو اقامة الإسلام العملي الواقعي وهكذا يصبح الحق حقاً والباطل باطلاً وليس الدليل في كل وقت كلاماً فالعالم الواقعي هو الميدان لجهادنا وإثبات حقنا وإقامة دليل للرد على كل شبهة أما إذا أصبحت الكتب والأوراق فقط هي الميدان الذى نحارب من خلاله فإننا ولاشك نخسر المعركة — فالرد يكون كلاماً في مقابلة الكلام وعملاً في مقابلة الأعمال فإذا أفرزت العلمانية والإلحاد إنحرافاً ونجاسة فيجب على التوحيد أن يوجد طهراً وعفافاً وإستقامة وإذا كانت هذه النظم الوضعية تعنى الظلم فالتوحيد يعنى العدل فالعدل يجب أن يكون واقعاً محسوساً والإسلام يجب أن يكون واقعاً مطبقاً وليس مجرد قضية كلامية نصرخ بها هنا وهناك — ويوم نملك لكل شبهة جواباً يراه الناس أفعالاً لا كلاماً فقط فحينئذ نستطيع بحول الله وقوته وتوفيقه أن نقضي على هذه المناهج والزبالات التي تفتقت عنها عقول البشر .

الديمقراطية وقضية الحكم بما انزل الله

الديمقراطية وفق تعريفها تعنى حكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه وأن الشعب هو مصدر السلطات سواء كانت تشريعية أو قانونية أو تنفيذية فالديمقراطية عبارة عن نظام للحكم يقوم على اساس ان الشعب هو مصدر السلطات واعطاؤه حق تشريع الأنظمة والقوانين وهذه مصادمة واضحة بينة للشرع والعقل والواقع في آن واحد وذلك لأن التشريع حق الله وحده والسلطة التشريعية لا بد من الرجوع بها لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ [الرعد : ٤١] . ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] . ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : ٤٠] . ﴿ وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٦] . والنبي ﷺ صادق مصدوق ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣] . إذا فهذه السلطة مصدرها الشرع لا الشعب ولا بأس بأن نسن النظم الإدارية والتي تقوم على البساطة والسرعة في انجاز الأعمال وتتحقق بها مصلحة البلاد والعباد ولكن دون مصادمة أو مخالفة لكتاب الله أو لسنة رسول الله ﷺ كقانون المرور مثلاً فهو نظام مطلوب للحفاظ على أرواح الناس وتيسير سبل الحركة — في الطرق وهذا شبيه بقانون الجند والدواوين الذى انشأه عمر بن الخطاب رضى الله والواجب علينا التفريق بين النظام الشرعى والنظام الإدارى وإلا فكثيراً ما يخلط الناس بين هذا وذاك الأمر الذى يسهل على المغرضين في النهاية التشكيك والتشويه فلا يجوز شرعاً إنشاء مجالس تشريعية تبحث هل الربا تتعامل به أم لا وهل تمنع الخمر أم لا ونعرض ذلك على عقول البشر فمهمة العقل أن يفهم الشرع وأن يستسلم لحكم ربه ويحل ما أحل الله ويحرم ما حرم الله جل وعلا ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] . وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ

ضَلَالاً مُّبِيناً ﴿ [الأحراب : ٣٦] . وَإِنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ
وَأَخَذَرَهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿ [المائدة : ٤٩] . ﴿ أَفَحُكْمَ
الْجَاهِلِيَّةِ يَتَّبِعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿ [المائدة : ٥٠] . وتقتصر
دور هذه المجالس على سن القوانين الإدارية فقط التي لا تخالف شرع الله ويراعى فيها
تحقيق المصالح ودرء ودفء المفساد .

ثم السلطة القضائية فالمصدر فيها يجب أن يكون الشرع لا الشعب والقضاة يجب
عليهم أن يحكموا بما أنزل الله وليس لهم أن يحكموا بقوانين وضعية أو نظم كفرية —
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة النبوية « ولا ريب أن من لم يعتقد
وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن أستحل أن يحكم بين الناس
بما يراه عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر فإنه ما من أمة إلا وهى تأمر بالعدل
وقد يكون العدل فى دينها ما رآه أكابرهم بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون
بعاداتهم التى لم ينزلها الله تعالى وكانوا الأمراء المطاعين ويرون أن هذا هو الذى ينبغى
أن يحكم به دون الكتاب والسنة وهذا هو الكفر فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن
لا يحكمون إلا بالعادة الجارية التى يأمر بها المطاعون فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز
لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل
الله فهم كفار » وقال : « ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله لا بين
المسلمين ولا الكفار ولا الفتيان ولا رماة البندق ولا الجيش ولا الفقراء ولا غير ذلك إلا
بحكم الله ورسوله ومن ابتغى غير ذلك تناوله قوله تعالى ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَّبِعُونَ
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى
يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فى أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيماً ﴾ . فيجب على المسلمين أن يحكموا الله ورسوله فيما شجر بينهم ومن
حكم بحكم البندق وشرع البندق أو غيره مما يخالف شرع الله وشرع رسوله وحكم
الله وحكم رسوله وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذين يقدمون حكم
« الياسق » على حكم الله وحكم رسوله ومن تعمد ذلك فقد قذح فى عدالته ودينه
١. هـ يقول ابن القيم رحمه الله تعالى « من تحاكم أو حاكم الى غير ما جاء به الرسول
ﷺ — فقد حكم الطاغوت وتحاكم اليه » وقال عن الطاغوت « الطاغوت كل ما

تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله « ١ . هـ . فالحاكم الجائر المغير لأحكام الله طاغوت يقول تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ٦٠] . ويقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] . يقول : ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المحكم المشتمل على كل خير ، الناهى عن كل شر وعدل الى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاح التي وصفها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها وفيها كثير من الأحكام اخذها من مجرد نظره وهواه فصارت شرعاً متبعاً يقدمونه على الحكم بالكتاب وسنة الرسول ﷺ .

ونحن إذا نظرنا في اللجان القانونية فسنجد في كل لجنة مقرر والذي يضع النظام أو القانون فرد وتقره اللجنة بعد ذلك أو تعترض عليه اذا فالتشريع للبشر أصبح حكراً على واحد أو بصفة أفراد وهؤلاء أصبح يطلق عليهم اسم المشرعين وهذا حدث في وضع القانون المدني المصرى والذي وضعه الدكتور عبد الرازق السنهورى المصرى والأستاذ ادوارد لامبير الصليبي الفرنسى وقد اعاون في وضعه الصليبيان استويت وساس وأخذوا أكثر من ٨٥٪ من نصوصه من قوانين الكفار الصليبيين ولذلك نراه يبيح أحكاماً حرمتها الشريعة حرمة قطعية كالربا والقمار . والنصوص القليلة التي اخذت من الشريعة الإسلامية والفقهاء الإسلامى روعى فيها أن تكون متفقة مع المبادئ التي قام عليها القانون فالقانون هو المهيمن على الشريعة الإسلامية يأخذ منها ما يوافقها ويفرض ما لا يتفق مع مبادئه يقول : الدكتور السنهورى في هذا : « يراعى في الأخذ بأحكام الفقهاء الإسلامى التنسيق بين هذه الأحكام والمبادئ

العامة التي يقوم عليها التشريع المدني في جملته فلا يجوز الأخذ بحكم في الفقه الإسلامي يتعارض مع مبدأ من هذه المبادئ حتى لا يفقد التقنين المدني تجانسه وانسجامه . وهكذا تكون أحوال العباد عندما ينصبون من أنفسهم حكاماً على دين الله يأخذون منها ما يوافق أصول التقنين الحديث ويتركون منها ما خالفه وكأنما حكم الله وشرعه متروك لأحكام البشر وأهوائهم ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة : ٨٥] . وهذا القانون الوضعي الذي حكمت به البلاد لا يقره المسلمون ولم يقره رجال مصر يوم وضع وتمت المناقشات حوله ويذكر التاريخ وفتات طيبة للمستشار حسن الهضيبي / رحمه الله والشيخ عبد الوهاب طلعت باشا وغيرهم في الرد على هذا القانون .

ثم نأتى بعد ذلك للسلطة التنفيذية وهي بيد الحاكم وبالتالي فعبارة الشعب مصدر السلطات ما هو إلا لفظاً انشائياً لا واقع له في الحياة وحتى لو كان الأمر كذلك فالسيادة إنما هي لشرع الله عز وجل والناس جميعاً حكاماً كانوا أو محكومين وسواء كانوا في السلطة التنفيذية أو القضائية يجب عليهم ان ينقادوا لشرع الله ويقودون الناس به « وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » « والإمام راع وهو مسئول عن رعيته » [متفق عليه] ولاشك ان الحاكم دوره خطير ومسئوليته أعظم وبصلاحه واستقامته ينصلح خلق كثير ويستقيمون على أمر الله وكما قال عثمان بن عفان رضي الله عنه « ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » وليس له ان يتابع آراء أو أهواء البشر قلت أو كثرت اذا صادمت شرع الله وبحجة أنه ينزل على إرادة شعبه هذا اذا كان الشعب يرفض الرجوع لدين الله فكيف ومطالبة الناس بتحكيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مراراً أمر لا ينكره إلا من أعمى الله بصره وبصيرته « وختم على قلبه وجعل على بصره غشاوة » والحكم بغير ما أنزل الله تارة يكون مخرجاً من الملة وتارة لا يكون ومن خير من فصل القول في هذه المسألة وبينها العلامة الشيخ محمد بن ابراهيم مفتي الديار السعودية الأسبق كما بين ذلك الدكتور عمر الأشقر في كتابه القيم (الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية) يقول « فقد ذكر رحمه الله أن الحكم بغير ما أنزل الله يقسم الى قسمين كفر اعتقادي وكفر عملي ثم فصل القول في الكفر الاعتقادي

وذكر أنه ستة أنواع « فقال : « أما الأول وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع : أحدهما أن
 يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهو معنى ما روى عن ابن
 عباس ، واختاره أبو جرير أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي وهذا
 ما لا نزاع فيه بين أهل العلم فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم ان من جحد
 أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مجمعاً عليه أو انكر حرفاً مما جاء به الرسول ﷺ
 قطعياً فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة . الثاني : ألا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله
 كون حكم الله ورسوله حقاً لكن أعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من
 حكمه وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع إما مطلقاً أو بالنسبة
 إلى ما أستجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال وهذا أيضاً لا
 ريب انه كفر لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان وصرف حثالة
 الأفكار على حكم الحكيم الحميد وحكم الله ورسوله لا يختلف في ذاته باختلاف
 الأزمان وتطور الأحوال وتجدد الحوادث فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها
 في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نصاً أو ظاهراً أو أستنباطاً وغير ذلك علم
 ذلك من علمه وجهله من جهله وليس معنى ما ذكر العلماء من تغير الفتوى بتغير
 الأحوال ما ظنه من قل نصيبهم أو عدم من معرفة مدارك الأحكام وعللها حيث ظنوا
 أن معنى ذلك بحسب ما يلائم إرادتهم الشهوانية البهيمية وأغراضهم الدنيوية
 وتصوراتهم الخاطئة البوية ولهذا تجدهم يحامون عنها ويجعلون النصوص تابعة لها منقادة
 إليها مهما أمكنهم فيحرفون لذلك الكلم عن مواضعه وحينئذ معنى تغير الفتوى بتغير
 الأحوال والأزمان مراد العلماء منه ما كان مستصحباً فيه الأصول الشرعية والعلل
 المرعية والمصالح التي جنسها مراد الله تعالى ورسوله ﷺ ومن المعلوم أن أرباب
 القوانين الوضعية عن ذلك بمعزل وأنهم لا يقولون إلا على ما يلائم مراداتهم كائنة ما
 كانت والواقع أصدق شاهد . الثالث : ألا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله
 لكن أعتقد أنه مثله فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافر الكفر الناقل عن الملة
 لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله عز وجل ﴿ لَيْسَ
 كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] . ونحوها من الآيات الكريمة الدالة على تفرد الرب
 بالكمال وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين في الذات والصفات والأفعال والحكم بين الناس

فيما يتنازعون فيه . الرابع : ألا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله فضلاً عن أن يعتقد كونه أحسن منه لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله . فهذا والذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه لإعتقاد جواز ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه وقد أشار العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى إلى الأنواع الثلاثة الأخيرة التي أشار إليها الشيخ فقال « إن ظن أن غير هدى النبي ﷺ أكمل من هديه أو أن من الأولياء من يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام فهذا كافر يجب قتله بعد إستتابته لأن موسى لم تكن دعوته عامة ولم يكن يجب على الخضر اتباع موسى بل قال الخضر لموسى : إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه » مجموع الفتاوى ٥٨/٢٧ — وفي هذا يقول صاحب الطحاوية « إن اعتقد الحاكم أن الحكم بغير ما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر الخامس : وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ولرسوله ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وتنوعاً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهذه المحاكم مراجع هي القانون الملق من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي والقانون البريطاني وغيره من القوانين ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام فهياة مكتملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب يحكم حاكمها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحمته عليهم فأى كفر فوق هذا الكفر وأى مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة وذكر أدلة جميع ما قدمنا على وجه البسط معلومة معروفة لا يحتمل ذكرها هذا الموضوع فيا معشر العقلاء ويا جماعات الأذكياء وأولى النهى كيف ترضون أن تجرى عليكم أحكام أمثالكم وأخطاء أشباهكم أو من هم دونكم ممن يجوز عليهم الخطأ بل خطأهم أكثر من صوابهم بكثير بل لا صواب في حكمهم إلا ما هو مستمد من حكم الله ورسوله نصاً أو

استنباطاً تدعونهم يحكمون في أنفسكم ودمائكم وأبشاركم وأعراضكم وفي أهاليكم من أزواجكم وذرياتكم وفي أموالكم وسائر حقوقكم ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحكم الله ورسوله الذي لا يتطرق إليه الخطأ ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وخضوع الناس ورضوخهم لحكم ربهم خضوع ورضوخ لحكم من خلقهم تعالى ليعبده فكما لا يسجد الخلق إلا لله ولا يعبدون إلا إياه ولا يعبدون المخلوق فكذلك يجب ألا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلا لحكم الحكيم العليم الحميد الرؤوف الرحيم دون حكم المخلوق الظلوم الجهول الذي أهلكته الشكوك والشهوات والشبهات واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات فيجب على العقلاء أن يربطوا بنفوسهم عنه لما فيه من الاستعباد لهم والتحكم فيه بالأهواء والاعراض والأغلاط والأخطاء فضلاً عن كونه كفرةً ينص قوله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] . السادس : ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها سلومهم يتوارثون ذلك منهم ويحكمون به ويحرصون على التحاكم إليه عند النزاع بقاءً على أحكام الجاهلية واعراضاً ورغبة عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوة الا بالله . ا . هـ . والذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله عامة بلا استثناء وإيثار أحكام وضعية وتعطيل لكل ما في شريعة الله بل بلغ الأمر مبلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الوضعي على أحكام الله المنزلة وإدعاء المحتجين لذلك بان أحكام الشريعة إنما نزلت لزمان غير زماننا ولعلل وأسباب انقضت فسقطت الأحكام كلها بانقضائها فأين هذا من قول ابن عباس كفر دون كفر في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤] . ولم يحدث في تاريخ الإسلام ان سن حاكم حكماً وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها ثم الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله فيها فإنه إما أن يكون حكم بها وهو جاهل فهذا أمره أمر الجاهل بالشريعة وإما أن يكون حكم بها هوى ومعصية فهذا ذنب تناله التوبة وتلحقه المغفرة وإما أن يكون حكم به متأولاً حكماً يخالف به سائر العلماء فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد تأويله من الإقرار بنص الكتاب وسنة رسول الله ﷺ . ولم يكن زمن ابن عباس رضي الله

عنهما والزمن الذي بعده حاكماً حكم بقضاء في أمر جاحداً لحكم من أحكام الشريعة أو مؤثراً لأحكام أهل الكفر على أحكام أهل الإسلام - ويبقى الحديث بعد ذلك على هذه الصور الستة التي ذكرها الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وعدها مخرجة من الملة والتي هي ليست محلاً للنزاع أو الخلاف فتطبيقها على حاكم أو انسان بعينه أمر يحتاج إلى نظر وحيطة فقد يكون القول كفراً ويطلق القول بتكفير قائله كما يقول النووي وابن تيمية فيقال من فعل كذا فهو كافر ومن قال كذا فهو كافر أما الشخص المعين فلا يكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه والتي يكفر من خالفها بعد ذلك وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع بحيث تنتفي بها الشبهات وتندراً بها المعاذير ويحیی من حی عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة .

وختاماً نقول أين الديمقراطية بقوانينها الوضعية وبإعطائها حق الخالق للمخلوق أين هي من شرع الله ومن دين الله فالديمقراطية شيء والإسلام شيء آخر وقد رأينا كيف مكنت هذه القوانين لأعداء الله في ديار المسلمين وهي عاجزة عن تحقيق الأهداف المرجوة منها لأنها تتصف بصفات واضعها من القصور والعجز والأنانية ولم تنظر الى العقيدة والأخلاق فلا لقاء بين القوانين الوضعية والشريعة الإسلامية ولا صلاح للبلاد والعباد إلا بتطبيق دين الله وتضييع الشريعة معناه أن تعود هذه الأمة إلى مثل الجاهلية الأولى أو أشد إلى مثل حرب داحس والغبراء تناطحاً على المكاسب الوطنية والزعامات القومية وإذا كنا حقاً نبتغي وحدة حقيقية للأمة الإسلامية فعلينا بتحكيم شرع الله وإقصاء القوانين الوضعية وإفكلك مجموعة من الدول العربية تطبق قانوناً يختلف تماماً عن القانون الذي تطبقه الدول العربية المجاورة لها . وعيب بمن خلق من مجرى البول مرتين وأوله نطفة قدرة وآخره جيفة قدرة وهو بين أوله وآخره يحمل العذرة قبيح به ان ينصب من نفسه إلهاً مع الله يشرع من دون الله ويتحكم بتشريعاته الوضعية في رقاب عباد الله فالتشريع حق لله وحده لا ينازعه فيه مخلوق

﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف : ٦٧] .

﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [القصص : ٨٨] .

﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ط [القصص : ٧٠] .

والحلال ما أحل سبحانه والحرام ما حرم والدين ما شرع والخلق خلقه والأمر أمره

والعبد عبده ... ويقول سبحانه ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجنائية : ١٨] . وقد صرحت الآيات أن طاعة المشركين في حكم تشريعي واحد شرك بالله وفي ذلك يقول تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الانعام : ١٢١] . يقول ابن تيمية « إذا حكم ولاية الأمر بغير ما أنزل الله وقع بأسهم بينهم ، قال رسول الله ﷺ ما حكم قوم بغير ما أنزل الله إلا وقع بأسهم بينهم ﴾ [رواه ابن ماجه وبخام وغيره وحسن الألباني رواية الحاكم] وهذا من أعظم أسباب تغير الدول كما قد جرى مثل هذا مرة بعد مرة في زماننا وغير زماننا ومن أراد الله سعادته جعله يعتبر بما أصاب غيره فيسلك مسلك من أيده الله ونصره ويجنب مسلك من خذله الله وأهانته فان الله يقول في كتابه ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ . فقد وعد الله بنصرة من ينصره ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم . فأول خطوة على طريق النصر تكون بالعودة الى الله وتحكيم شرعه .

شبهة وبيان :

يقول بعض المغرضين والمارقين والنصارى كيف تطبقون حكم الإسلام علينا ونحن لنا دين يختلف عن دينكم ؟ ويظهر العلمانيون والديمقراطيون الشفقة الكاذبة على النصارى وأن تطبيق الإسلام عليهم أمر يتنافى مع العدل والإنسانية والحرية وهذا الأمر يحتاج ولاشك إلى توضيح وبيان نذكره على سبيل الاجمال في عدة نقاط :

١ — يقول تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] . ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] . ودين الحق واحد هو الذى بعث به الأنبياء والمرسلون من لدن آدم حتى خاتمهم وسيد ولد آدم ﷺ وإنما تعددت الشرائع وشرعية الإسلام حاکمة ومهيمنة على سائر الشرائع .

٢ — دساتير الدول كما هو معروف تحكم جميع الرعايا ويحكم بها القضاة وغير مسموح لأحد بالخروج على نظام الدولة التى يتواجد فيها حتى وإن كان

نظاماً وضعياً كفرياً ويعلقون المشانق لمن خرج على دستور البلاد فكيف بمن
خرج على حكم أحكم الحاكمين ورب العالمين .

٣ — رعايا البلد لا يقتصرون على النصارى فقط وهم باختيارهم المقام في دار
الإسلام قد حققوا السبب الذى جعلهم خاضعين للأحكام الإسلامية .
ولذلك أقام النبي ﷺ الحد على اليهوديين الزانيين .

٤ — في عقود الذمة كهذا الذى أبرمه عمر بن الخطاب وغيره من حكام
المسلمين . يقر الحاكم أو نائبه بعض أهل الكتاب أو غيرهم من الكفار على
كفرهم بشرطين :

١ — أن يلتزموا أحكام الإسلام فى الجملة .

ب — أن يبذلوا الجزية ويسرى هذا العقد على الشخص الذى عقده ما دام
حياً وعلى ذريته من بعده يقول تعالى ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ
الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩] . وروى البخارى : أن المغيرة قال : يوم
نهاوند — أمرنا نبينا أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا
الجزية — وهذا العقد دائم غير محدود بوقت مادام لم يوجد ما
ينقضه .

٥ — إذا تم عقد الذمة ترتب عليه حرمة قتالهم والحفاظ على أموالهم وصيانة
أعراضهم والكف عن آذاهم لما روى عن على رضى الله عنه أنه قال « إنما
بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا » والقاعدة العامة التى
رآها الفقهاء « أن لهم ما لنا وعليهم ما علينا » وليس للمسلم أن ينكر عليه
عدم قيامه بشعائر الإسلام كالصلاة والصيام والحج لأنها عبادات تخالف
معتقده — وما يتصل بشعائرهم الدينية من عقائد وعبادات وما يتصل
بالأسرة من زواج وطلاق فالقاعدة الفقهية المقررة فيها « أتركوهم وما
يدينون » .

٦ — يشترط مع الجزية التزام أحكام الإسلام كما ذكرنا فإن امتنع من لزوم الأحكام أو قاتل المسلمين أو زنى بمسلمة أو أصابها باسم نكاح أو فتن مسلماً عن دينه أو قطع الطريق على مسلم أو آوى مشركاً أو دل المشركين على عورات المسلمين أو قتل مسلماً أو ذكر الله تعالى أو رسوله أو دينه بما لا يجوز فقد انتقضت ذمته في ذلك جميعه وقد اخذ عليهم في عقود الذمة أن لا يدقون ناقوساً ولا يظهرون صلياً ولا يبيعون كتاباً من كتبهم في أسواق المسلمين إلى غير ذلك من المعاني المذكورة في كتب الفقه والسير .

٧ — ليس للمسلم أن ينكر على الكتاني شربه الخمر وأكل لحم الخنزير لأن ذلك حلال عنده وليس فيه مساس بحق غيره أما إظهار الخمر والخنزير له فالراجع الإنكار عليه في ذلك .

٨ — أحكام الإسلام تجرى على أهل الذمة فيما يتعلق بالمعاملات المالية فلا يجوز لهم أن يتصرفوا تصرفاً لا يتفق مع الإسلام كعقد الربا وغيره من العقود المحرمة وتقام عليهم الحدود الشرعية إذا فعلوا ما يوجب ذلك ويقتصر منهم .

٩ — هناك فرق بين إعتقاد الذمي حلية الفعل واتباعه إياه في دار الإسلام بما ينطوي عليه من مساس بحق الدولة المسلمة أو بحقوق أفرادها ولذلك يجب الانكار على الذمي ولو كان من وقع عليه فعل المنكر على دين الذمي وذلك كما في حالة التعامل بالربا ولأن أثر الفعل لا يقتصر عليهما بل يتعدى الى غيرها . أما القتل والضرب والسرقه والمطل والرشوة والغش والقذف والغصب والإتلاف فكل ذلك يعد منكرأ في حق غير المسلم مثلما هو منكر في حق المسلم يجب انكاره .

١٠ — إن تحاكموا إلينا مع المسلمين وجب الحكم بينهم لأنه لا يجوز أن يحكم على المسلمين جأكم الكفار ، وإن تحاكموا إلينا بعضهم مع بعض ففيه قولان أحدهما يلزمه الحكم بينهم كالمعاهدين والثاني التخيير بين القبول والرفض يقول تعالى ﴿ فَإِنْ جَاؤُكَ فَاخُكُمُ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضُ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضُ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ وَإِنْ حَكَمْتَ فَاخُكُمُ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

١١ — يجوز لنا أن نبيع ونشتري لأهل الكتاب ونهاديهم ون تزوج من نسائهم ونرحمهم بالرحمة العامة ونقبل ضيافتهم ونجادلهم بالتى هى أحسن ونعودهم فى مرضهم وفى ذات الوقت لا محبة بيننا وبينهم ولا أخوة ولا صداقة ولا مودة ولا موالاة .

وعلى هذا المعنى وعلى ذلك دلت نصوص الكتاب والسنة فلا داعى لأن نصادم بعض النصوص ببعضها الآخر وكلها خرجت من مشكاة واحدة فلا يظن بنصوص الوحى وجود تعارض وعمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما أهدى له النبى ﷺ حلة سبراء أهداها هو لأخ مشرك له بمكة « وبوب على ذلك الإمام البخارى » « باب إهداء الوالد المشرك » . « باب إهداء الأخ المشرك » وعمر هو الذى قال للنبى ﷺ يوم بدر « أرى ان تدفع لى فلاناً وتدفع عقيلاً لعلى وتدفع فلاناً لحمزة حتى نقتلهم وحتى يعلم الله أن ليس فى قلوبنا هواده للمشركين . ولما ذهب عبد الله بن رواحة لتخريص نخل يهود خيبر فأرادوا رشوته قال لهم « يا أعداء الله تعلموننى السحت فوالله لقد جئتمكم من عند أحب الناس لى ولأنتم أبغض إلى من عدتكم من القردة والحنازير ولا يحملنى حبى إياه (يقصد النبى ﷺ) وبغضى إياكم على ألا أعدل بينكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض . يقول تعالى ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٥١] . ويقول تعالى ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ﴾ [المتحنة : ٨] . ولذلك قال الإمام الخطاى « الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه » ويقول سبحانه ﴿ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود : ١١٣] . ولا يصح لمسلم أن يظهر شعائر الدين الباطل ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ [الفرقان : ٧٢] . قال عمر وغيره هى أعياد المشركين لانها من أعظم شعائر دينهم الباطل بل لا يبيعهم ما يستعينون به على ذلك ولا يتقبل هداياهم المتعلقة بأعيادهم الكفرية ولا يدخل عليهم كنائسهم فى أعيادهم لأن السخطة تنزل عليهم وفى ذات الوقت ثبت أن النبى ﷺ

دعى لطعام يهود المدينة ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة من يهودى وعاد الغلام اليهودى وقال له أسلم فقال له أبوه أطع أبا القاسم وفاضت روح الغلام فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم صلوا على صاحبكم . وإذا كان المسلم يجوز له أن يتزوج من الكتابية وهذا مظنة أن تسلم بإذن الله إذا تعرفت على دين الله فيجب عليه أن يقوم على تربية أولاده تربية إسلامية ويتعاهدهم في ذلك وليس له أن يحب ما عليه زوجته من دين باطل وليس للكتانى ان يتزوج مسلمة وإن فعل انتقض عقده بذلك ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾ . ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ والزواج فيه قوامة والاسلام يعلو ولا يعلى عليه . والأولاد يتبعون المسلم منهما سواء أكان الأب أو الأم في حالة إذا أسلمت الأم تحت رجل كتانى أو أسلم الكتانى وبقيت الأم على دينها . وتفصيلات الأحكام في ذلك كثيرة وهى ولله الحمد موضحة ومبينة في كتب أهل العلم فليرجع إليها وإنما اقتصرنا منها على ما تدعوا إليه الحاجة في نظرنا وخصوصاً بعد اختلاط المفاهيم وغربة الحال وتبدل الأوضاع وشيوع الفلسفات والمناهج والترويج لها في بلدان المسلمين على أيدى أعدائهم فعاد الإسلام غريباً كما بدأ غريباً وانتهاز فرصة ضعف الأمة من لا خلاق له فتسلط عليها والله غالب على أمره وتمت نوره ولو كره الكافرون وهذه الصحوحة الإيمانية التى نراها والتى هى محض فضل وتوفيق من الله ما هى إلا مقدمة بين يدي حدث ضخم يكاد يلوح فى الأفق « وان غداً لناظره قريب » .

الديمقراطية والولايات

لا غضاضة ولا حرج في النظام الديمقراطي من أن تتولى المرأة إمرة الرجل أو أن يتولى الكافر إمرة ولاية المسلمين فقط يكفي في ذلك الانتخاب أو الإرادة الشعبية الحرة في انتخاب ممثلي الشعب كما يقولون فالرضى فقط يكفي عمن ينوب عن الإنسان رجلاً كان أو امرأة مسلماً أم غير مسلم ومخالفة الديمقراطية في ذلك للإسلام مخالفة واضحة وصريحة وفساد ما ذهبت إليه الديمقراطية وبطلانها واضح شرعاً وعقلاً والشر تزداد حدته إذا تولى الكافر أو المرأة ولاية الخلافة أو الحكم على المسلمين وقد تكلم علماء الأمة قديماً وحديثاً على شروط الولاية وكيفية انعقاد الولاية وقواعد العزل فلم يترك الأمر هملأً ونحن نبين بتوفيق الله بعض المعاني المتعلقة بالإمامة العظمى والولايات الخاصة وبشيء من الإختصار والإجمال وحتى نستوضح مدى انحراف الديمقراطية وخطأ المناداة بها .

الخلافة أو الإمامة العظمى

يقول تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة : ٣٠] . قال القرطبي في تفسيرها « هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة وبين الأئمة الا ما روى عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم إلى أن قال ودليلنا قول الله تعالى ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ . وقوله تعالى ﴿ يَا دَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ [ص : ٢٦] . وقال ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [النور : ٥٥] . وقد أجمعت الصحابة على تقديم الصديق بعد وفاة النبي ﷺ فدل على وجوبها وانها ركن من أركان الدين الذي به قوام المسلمين فمن المعلوم من الدين بالضرورة أن المسلمين يجب عليهم نصب إمام تجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الله في أرضه .

فالخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به وهذا موضع إتفاق ومحل إجماع من يعتد بقوله فهل النظام الديمقراطي يهدف لذلك ؟

انعقاد الإمامة يتم بأحد الأمور الآتية :

١ — ما لو نص النبي ﷺ على أن فلاناً هو الإمام فإنها تنعقد به بذلك وقال بعض العلماء إن إمامة أئى بكر رضى الله عنه فى هذا القبيل لأن تقديم النبى ﷺ له من إمامة الصلاة وهى أهم شىء فىه الإشارة الى التقديم للإمامة الكبرى وهو ظاهر .

٢ — إتفاق أهل الحل والعقد على بيعته وقال بعض العلماء إن إمامة أئى بكر منه لإجماع أهل الحل والعقد على بيعته ولا عبرة بعلم رضى بعضهم كما وقع من سعد بن عبادة رضى الله عنه من عدم قبوله ببيعة أئى بكر رضى الله عنه .

٣ — أن يعهد إليه الخليفة الذى قبله كما وقع من أئى بكر لعمر رضى الله عنهما ومن هذا القبيل جعل عمر رضى الله عنه الخلافة شورى بين ستة من أصحاب رسول الله ﷺ مات وهو عنهم راض وهذا ما يطلق عليه اسم ولاية العهد ، يقول أبو يعلى الحنبلى فى كتاب الأحكام السلطانية « يجوز للإمام أن يعهد إلى امام بعده ... ولأن عهده إلى غيره ليس بعقد للإمامة . ا . هـ . فالإمامة لا تنعقد للمعهود إليه بنفس العهد وإنما تنعقد بعهد المسلمين وذلك بعد موت الأول وباختيار أهل الوقت وقد رجح هذه الطريقة بعض العلماء على طريقة انتخاب أهل الحل والعقد للخليفة دون عهد منه إلى أحد لما فى العهد من حسم لمادة الخلاف والنزاع وفى ذلك يقول ابن حزم « وهذا — أئى العهد — هو الوجه الذى نختاره ونكره غيره لما فى هذا الوجه من اتصال الإمامة وانتظام أمر الإسلام أهله ورفع ما يتخوف من الإختلاف والشغب مما يتوقع فى غيره من بقاء الأمة فوضى ومن انتشار الأمر وحدوث الأطماع » المثل والنحل لابن حزم جـ (٤) ص ١٦٩ .

٤ — أن يتغلب على الناس بسيفه وينزع الخلافة بالقوة حتى يستتب له الأمر

وتدين له الناس لما في الخروج عليه حينئذ من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم ومن هذا القبيل قيام عبد الملك بن مروان على عبد الله ابن الزبير وقتله إياه في مكة على يد الحجاج بن يوسف فاستتب الأمر له كما قال ابن قدامة في المغنى وكلام العلماء ونقلهم لهذه الصورة إنما هو حكاية لواقع قد يحدث وما يترتب عليه ومعلوم أن من شروط الخليفة أن يكون حراً ولكن قد يتغلب عبد حقيقة بالقوة فإن طاعته تجب إخماداً للفتنة وصوناً للدماء مالم يأمر بمعصية (ذكره الشنقيطي في أضواء البيان حـ (١) ص ٥٦) .

شروط الخليفة (وسواء أطلقنا عليه وصف الحاكم أو الرئيس أو الإمام أو أمير المؤمنين فلا بد من توافر شروط تكلم عنها العلماء ووردت في النصوص الشرعية :

١ — أن يكون قرشياً . وحكى غير واحد عليه الإجماع وبوب الإمام البخارى « باب الأمراء من قریش » والنصوص الشرعية دلت على أن ذلك التقديم الواجب لهم في الإمامة مشروط بإقامتهم الدين وإطاعتهم لله ورسوله فإن خالفوا أمر الله بغيرهم ممن يطيع الله سبحانه وتعالى وينفذ أوامره أولى منهم .

٢ — كونه ذكراً ولا خلاف في ذلك بين العلماء ويدل له ما ثبت في صحيح البخارى وغيره من حديث أبى بكر رضى الله عنه أن النبى ﷺ لما بلغه أن فارساً ملكوا ابنة كسرى قال : ﴿ لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة ﴾ .

٣ — من شروط الإمام الأعظم كونه حراً فلا يجوز أن يكون عبداً ولا خلاف في هذا بين العلماء .

٤ — أن يكون بالغاً فلا تجوز إمامة الصبى اجماعاً لعدم قدرته على القيام بأعباء الخلافة .

٥ — أن يكون عاقلاً فلا تجوز امامة المجنون ولا المعتوه وهذا لا نزاع فيه .

٦ — أن يكون عدلاً فلا تجوز إمامة فاسق حالة الإبتداء واستدل عليه بعض العلماء بقوله تعالى ﴿ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ ﴾ [النساء : ٥٩] . ويدخل في اشتراط العدالة اشتراط

الإسلام لأن العدل لا يكون غير مسلم . ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [النساء : ١٤١] . والولاية من أعظم السبيل ولقوله تعالى
﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] . أى
منكم أنتم أيها المسلمون .

٧ — أن يكون ممن يصلح أن يكون قاضياً من قضاة المسلمين مجتهداً يمكنه
الإستغناء عن استفتاء غيره في الحوادث .

٨ — أن يكون سليم الأعضاء غير زمن ولا أعمى ونحو ذلك ويدل لهذين الشرطين
الأخيرين قوله تعالى في طالوت ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي
الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ [البقرة : ٢٤٧] .

٩ — أن يكون ذا خبرة ورأى حصيف بأمر الحرب وتدير الجيوش وسد الثغور
وحمية بيضة المسلمين والإنتمام من الظالم .

١٠ — أن يكون ممن لا تلحقه رقة في إقامة الحدود ولا فزع من ضرب الرقاب ولا
قطع الأعضاء ويدل لذلك إجماع الصحابة رضی الله عنهم على أن الإمام لا بد
أن يكون كذلك — قاله القرطبي .

أهل الحل والعقد

إذا كان انتخاب الخليفة من حق الأمة ولها أن تباشر هذا الحق عن طريق أهل
الحل والعقد فمن هم وما علاقتهم بالأمة ؟ وكيف ينالون هذه المنزلة ؟ .

يذكر الفقهاء أوصافاً عامة لأهل الحل والعقد منها :

١ — العدالة الجامعة بشروطها ويدخل في اشتراط العدالة اشتراط الإسلام كما
ذكرنا .

٢ — العلم الذى يتوصل به الى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعبرة
فيها .

الرأى والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للأمة أصلح وتبدير المصالح أقوم . ولو اختار الصحابة أهل الحل والعقد وترك لهم الأمر لما تعدوا الستة الذين ترك عمر رضى الله عنه الأمر شورى بينهم فقد كانوا هم المتبوعين فى الأمة الحائزين على ثقتها ورضاها لما عرفوا به من التقوى والعدالة والإخلاص والإستقامة وحسن الرأى ومعرفة الأمور والحرص على مصالح الأمة — وقد عرف الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله (صاحب تفسير المنار) أولى الأمر بأنهم جماعة أهل الحل والعقد وهم الأمراء والحكماء والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم الناس فى الحاجات والمصالح العامة — وهؤلاء ينتخبون الحاكم نيابة عن الأمة ويعتبر اختيارهم ملزماً لعموم المسلمين . ولكن هل يكفى التوكيل الضمنى الذى حدث فى عصر الخلفاء الراشدين لاختيار أهل الحل والعقد فى عصرنا الحاضر والإجابة على ذلك بأن الصورة التى حدثت لا يستبعد تكررها إذا تشابهت الظروف والملابسات مع الأوضاع التى عاشها الصحابة رضوان الله عليهم والتى تباعد عنها حاضرنا تباعداً كبيراً فيما يتعلق بالعلم النافع والعمل الصالح وبالتالي فلا مانع من سن النظم الإدارية اللازمة لإجراء انتخاب وضممان سلامته من التزييف والتضليل وأن نضع فى هذا النظام الشروط الواجب توافرها فىمن تنتخبهم الأمة لتكوين جماعة أهل الحل والعقد فى ضوء ما ذكره الفقهاء من شروط فهم وإثبات نيابتهم بالتوكيل الصريح ولأن التوكيل الضمنى يتعذر حصوله فى الوقت الحاضر .

تنبيهات لأبد منها

- ١ — الولايات الخاصة يُختار لها الأكفأ فالأكفأ والأولى فالأولى بحسب الولاية ويشترط فيمن نختاره القوة والأمانة لقوله تعالى ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ [القصر: ٢٦]. فولاية الجهاد نقدم فيها معنى القوة على معنى الأمانة وفي ولاية المال نقدم معنى الأمانة على معنى القوة. والولاية من أعظم السبيل فلا يصح فيها تولية الكافر ولأنه لا يؤتمن على نفسه فضلاً عن أن يؤتمن على مصالح الأمة ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُوْنَكُمُ خَبَالًا وَذُؤَامًا عَنَيْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُلُوبُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]. ولما علم عمر أن أبا موسى الأشعري استخدم كاتباً نصرانياً قال « لا تقربوهم وقد أبعدهم الله ولا تعزوهم وقد أذهم الله ولا تكرموهم وقد أهانهم الله » — ولذلك لا يصح للكافر أن يتزوج من مسلمة — أو أن يتولى إمرة المسلمين لأن الإسلام يعلوا ولا يعلى عليه ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١].
- ٢ — تمتع المرأة من تولى المناصب العليا كأن تكون وزيرة أو قاضية وخاصة رئاسة الدولة لأن في ذلك ظلم للمرأة وافتيات على المصلحة واتهام من يمنعون ولاية المرأة المناصب بأنهم يكرهون المرأة ليس أولى من العكس يعني اتهام من يقحمون المرأة في هذه الميادين بأنهم هم أعداؤها في الحقيقة وهم الذين يزدرونها ويحتقرونها بل البيوت والأسر تفسد إذا كانت القوامة فيها للمرأة يقول تعالى ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]. ويقول سبحانه ﴿وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةً﴾ [البقرة: ٢٢٨].
- وقد حددت الشريعة مكان المرأة ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

الجاهلية الأولى ﴿﴾ | الأجزاب : ٣٣ . ويقول النبي ﷺ ﴿﴾ والمرأة راعية على بيت زوجها ولده ﴿﴾ متفق عليه فلا تخرج من بيتها إلا لحاجة أذن الشرع فيها ومع التأدب بالآداب الشرعية وبإذن الزوج أو الولي وفي صحيح البخارى « لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وهو دليل على تحريم تولى المرأة للولاية العظمى وغيرها من الولايات الكبيرة لأن الحديث عام لفظة قوم تشمل كل قوم ولفظة امرأة تشمل كل امرأه فكل قوم أو أى قوم ولوا أمرهم امرأة فإنهم لا يفلحون وهذا هو حكم رسول الله ﷺ الذى يخالفه الديمقراطيون مع سائر مخالفاتهم لدين الإسلام — وقد أجمع أولوا الأمر من أهل الحل والعقد من الأمراء والعلماء على منع المرأة من تولى منصب رئاسة الدولة ولم يحدث فى تاريخ الإسلام (بصورة صريحة) ولا مرة واحدة أن تولت امرأة الحكومة .

هل يجوز للمرأة الدخول فى الانتخابات ؟

فى كتاب مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية ص ٣٥٦ وردت فتوى لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق وذلك فى ٤ مايو سنة ١٩٥٢ م والفتوى بعنوان خوض معركة الانتخابات للمرأة غير جائز واليك نص ما جاء فى المبادئ :

- ١ — رفع الإسلام من شأن المرأة فكون شخصيتها وقرر حريتها وفرض عليها طلب العلم والمعرفة .
- ٢ — لا يجوز للمرأة خوض غمار الانتخابات حماية لأنوثتها الطاهرة من العبث والعدوان والبعد عن مظاهر الريب وبواعث الافتتان .

سئل : وردت لينا اسئلة عديدة عن حكم انتخاب المرأة لعضوية مجلس النواب أو الشيوخ فى الشريعة الإسلامية إذ كانت ضجة من جانب بعض النساء للمطالبة بتعديل قانون الإنتخاب الذى حرمت نصوصه انتخابهن بحيث يكون لهن الحق فى الإنتخابات أجباب : بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله . عنى الإسلام

أتم عناية بإعداد المرأة الصالحة للمساهمة مع الرجل في بناء المجتمع على أساس من الدين والفضيلة والخلق القويم وفي حدود الخصائص الطبيعية لكل من الجنسين فرجع شأنها وكون شخصيتها وقرر حرمتها وفرض عليها كالرجل طلب العلم والمعرفة ثم ناط بها من شئون الحياة ما تهيؤها لها طبيعة الأنوثة وما تحسنه حتى إذا نهضت بأعبائها كانت زوجة صالحة وأماً مربية وربة منزل مدبرة وكانت دعامة قوية في بناء الأسرة والمجتمع — وكان من رعاية الإسلام لها حق الرعاية أن أحاط عزتها وكرامتها بسياج منيع من تعاليمه الحكيمة وحى أنوثتها الطاهرة من العبث والعدوان وباعد بينها وبين إخطار الريب وبواعث الافتتان فحرم على الرجل الأجنبية الخلوة بها والنظرة العارمة إليها وحرم عليها أن تبدى زينتها إلا ما ظهر منها وأن تخالط الرجال في مجامعهم وأن تتشبه بهم فيما هو من خواص شئونهم وأعفاها من وجوب صلاة الجمعة والعيدين مع ما عرف عن الشارع من شديد الحرص على اجتماع المسلمين وتواصلهم وأعفاها في الحج من التجرد للإحرام ومنعها الإسلام من الأذان العام وإمامة الرجل للصلاة والإمامة العامة للمسلمين وولاية القضاء بين الناس وأتم من يوليها بل حكم ببطان قضائها على ما ذهب إليه جمهور الأئمة ومنع المرأة من ولاية الحروب وقيادة الجيوش ولم يبح لها من معونة الجيش إلا ما يتفق وحرمة أنوثتها كل ذلك لخيرها وصونها وسد ذرائع الفتنة عنها والافتتان بها حذراً من أن يحيق بالمجتمع ما يقضى إلى انحلاله وانهيار بنائه والله أعلم بما للطبائع البشرية من سلطان ودوافع وبما للنفوس من ميول ونوازع والناس يعلموه والحوادث تصدق ولقد بلغ من أمر الحبيطة للمرأة أن أمر الله تعالى نساء نبيه ﷺ بالحجاب وهن أمهات المؤمنين حرمة واحتراماً وأن النبي ﷺ لم تمس يده (وهو المعصوم) أيدي النساء اللاتي بايعنه وأن المرأة لم تول ولاية من الولايات الإسلامية في عهده ولا في عهد الخلفاء الراشدين ولا في عهود من بعدهم من الملوك والأمراء ولا حضرت مجالس تشاوره . ﷺ مع أصحابه من المهاجرين والأنصار ذلك شأن المرأة في الإسلام ومبلغ تحصينها بالوسائل الواقية فهل تريد المرأة الآن أو تخترق آخر الأسوار وتقتحم على الرجال قاعة البرلمان فتزاحم في الانتخاب والدعاية والجلسات واللجان والحفلات والتردد على الوزارات والسفر الى المؤتمرات والجذب والدفع وما إلى ذلك مما هو أكبر أثماً وأعظم خطراً من ولاية القضاء بين خصمين وقد

حرمت عليها واتفق أئمة المسلمين على تأييم من يوليها تاركة زوجها وأطفالها وبيتها وديعة في يد من لا يرحم إن ذلك لا يرضاه أحد ولا يقره الإسلام بل ولا الأكثرية الساحقة من النساء اللهم إلا من يدفعه تملق المرأة أو الخوف من غضبها إلى مخالفة الضمير والدين ومجارة الأهواء ولا حسابان في ميزان الحق لهؤلاء على المسلمين وعليهم أن يتعرفوا حكم الإسلام فيما يعتزمون الإقدام عليه من عمل فهو مقطوع الحق وفصل الخطاب ولاخفاء في أن دخول المرأة في معمعة الانتخاب والنيابة غير جائز لما بيناه وإننا ننتظر من السيدات الفضليات أن يعملن بجد وصدق لرفعة شأن المرأة من النواحي الدينية والأخلاقية والاجتماعية والعلمية الصحيحة في حدود طبيعة الأنوثة والتعاليم الإسلامية قبل أن يحرصن على خوض غمار الانتخاب والنيابة وأن نسمع منهن صيحة مدوية للدعوة إلى وجوب تمسك النساء عامة بأهداب الدين والفضيلة في الأزياء والمظاهر والاجتماعات النسائية وغير ذلك مما هو كمال وجمال للمرأة المهذبة الفاضلة ولهن منا جميعا اذا فعلن ذلك خالص الشكر وعظيم الإجلال ذلك خير لهن والله يوفقهن لما فيه الخير والصلاح . ا . هـ

كيف استدرجوا المرأة لدخول الإنتخابات ؟

كانت الذراع الأولى التى التف بها اليهود حول أوربا هى إنشاء مجتمع لا يقوم على الدين والذراع الأخرى هى أفكار ونظريات علمية مزمنة تهاجم الدين والأخلاق والذراع الأولى وجدت مع الثورة الصناعية والرأسمالية فى ذلك الوقت ولدت فى أحضان اليهودية وهم يسيرونها إلى هذه اللحظة فقد دخل اليهود كعمولين للحركة الصناعية عن طريق الاقتراض بالفوائد الربوية فلما وضعت الرأسمالية فى أيديهم انتهزوا هذه الفرصة فأقاموا المجتمع الأوربى الصناعى على غير أساس من الدين والأخلاق وكانت فرصتهم الثانية هى السيطرة ومن ابشع ما استخدموه قضية المرأة فقد حدث يومها أن هياً الممولون الفرص لعمل المرأة لإخراجها من بيتها ثم جعلوا لها قضية وكانت هذه القضية فى مبدأ الأمر انهم جعلوها تعمل نفس الساعات التى يعملها الرجل ولكن بنصف الأجر وبدأت قضية مساواة المرأة بالرجل فى الأجر وحدثت المطالبة ولم تحدث الإستجابة فقيل لها اسلكى السبيل الذى يودى بك إلى غايتك تظاهرى واضربى فتظاهرت المرأة وأضربت وكانت هذه خطوة على الطريق وفى هذه المرة أيضاً لم يستمع لها أحد ولما كان الشيطان فقيه فى الشر وكذلك أتباعه يقودون الانسان إلى حتفه وهو يظن أنه يحسن الصنع وينتقلون به خطوة خطوة ويعملون ليل نهار دون كلل أو ملل فاستدرجوا المرأة وقالوا لها لا بد وأن تحولى قضيتك الى قضية سياسية ولا بد أن تحصلى على حق الانتخاب ثم حق دخول البرلمان فتحولت القضية من مطالبة بالمساواة مع الرجل فى الأجر إلى مطالبة بالمساواة مع الرجل فى الحقوق السياسية ثم انتقلوا بها إلى المطالبة بالمساواة مع الرجل فى التعليم وجعلت مناهج الأولاد البنات واحدة وتخرجت الفتاة من الدراسة الثانوية فقيل لماذا يفرق بين الجنسين فى دخول الجامعة لتنتقل القضية بعد ذلك إلى مطالبة بالمساواة مع الولد فى التعليم الجامعى ودخلت الجامعة لتبدأ قضية الإختلاط وكان هذا هو الهدف الذى يراد من هذه الدورة كلها فحدث الإختلاط فى الجامعة وفى الشارع وبالتعبية تفسخت الأخلاق وأصبحت المرأة رئيسة ووزيرة وعضوة بالبرلمان ... وفى جو الإختلاط رفعت حواجز الأخلاق كلها

وأصبحت الفاحشة هي الأصل في ذلك المجتمع الغربى وأما دراع الكماشة فكانت تلك النظريات التي نادى بها أساطين الشر من اليهود ماركس وفرويد ودوركايم وفريز ومن عجيب الأمر أن هذه الأمراض بدلاً من أن تستأصل أو تعالج في موطنها الذي ظهرت فيه استوردها البعض لتطبيقها في بلاد الإسلام فدرست النظريات على أنها حقائق وتنادى فريق أن لا بد وأن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا التحررية ونخلصها من قيود الدين وكان هذا هو الطريق إلى الهاوية وقد تكررت المأساة وانتقل العفن والحراب من هناك إلى هنا .

٣ — في النظام الديمقراطي يتولى الفساد والعصاة والكفار والنساء والمحاربن لدين الله والمعادين له الولايات العامة والخاصة ويتسلطون بذلك على رقاب المسلمين عن طريق انتخابات مزيفة وحررة كما يقولون ولكن أين الضوابط الشرعية فيها وما هي أهلية من يختار وماهى موازينه وهل علم هؤلاء شروط من سيختارونه. ولا يكفى أن يقال لعوام الناس اختاروا الأمثل أو الأصلح أو من يقدم خدمات اكثر فهذه عبارات كثير من الناس لا يفهم لها معنى نتيجة غربة الحال وغيبية المعانى الشرعية .

٤ — أجمع جميع المسلمين على أنه لا طاعة لإمام ولا غيره في معصية الله تعالى وقد جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة التي لا لبس فيها ولا مطعن كحديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال ﴿ السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره مالم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة ﴾ أخرجه الشيخان وأبو داود .

٥ — يصح للحاكم أن يعزل نفسه لموجب يقتضى ذلك كإخماد فتنة كانت ستشتعل لو لم يعزل نفسه أو لعلمه عن نفسه العجز عن القيام بأعباء الخلافة فلا نزاع في جواز عزله نفسه ولذا أجمع جميع المسلمين على الثناء على سبط رسول الله ﷺ الحسن بن على رضى الله عنهما بعزله نفسه وتسليمه الأمر إلى معاوية بعد أن بايعه أهل العراق حقناً لدماء المسلمين وأثنى عليه بذلك قبل وقوعه جده رسول الله ﷺ بقوله ﴿ إن ابني هذا سيد ولعل الله

أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ﴿ أخرجه البخارى وغيره من حديث
أبى بكره رضى الله عنه .

6 — ذهب جمهور العلماء الى عدم جواز الخروج على الحاكم والقيام عليه إلا إذا
ارتكب كفراً بواحاً عليه من الله برهان فقد أخرج الشيخان فى صحيحهما
عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على
السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وأن لا ننازع
الأمر أهله . قال ﴿ إلا أن تتروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان ﴾ .
والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة تدل على منع القيام عليه ولو كان مرتكباً لما
لا يجوز إلا إذا ارتكب الكفر الصريح الذى قام بالبرهان الشرعى من كتاب
الله وسنة رسوله ﷺ أنه كفر بواح أى ظاهر بأن لا لبس فيه وقال القاضى
عياض « أجمع العلماء على أن الإمامة لا تتعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه
كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب
على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك فإن لم
يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر » وقال الحافظ ابن
حجر « إنه — أى الإمام — ينزل بالكفر إجماعاً فيجب على كل مسلم
القيام فى ذلك فمن قوى على ذلك فله الثواب ومن داهن فعلية الإثم ومن
عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض » . وقد ذكر صاحب كتاب
الإمامة العظمى بالإضافة للكفر والردة بعد الإسلام من أسباب العزل .
— ترك الصلاة والدعوة إليها للأحاديث الواردة فى ذلك والتي نهت عن
منايذة الأئمة الجورة ونقض بيعتهم وعن مقاتلتهم بشرط إقامتهم الصلاة ومن
بين هذه الأحاديث ما رواه مسلم وغيره عن أم سلمة رضى الله عنها قالت :
إن رسول الله ﷺ قال : ﴿ إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن
كره فقد برئء ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضى وتابع ، قالوا : أفلا
نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلوا ﴾ وهذا الحديث فيه التصريح بمقاتلة الأمراء
الذين لا يصلون ومعلوم أن المقاتلة هى آخر وسيلة من وسائل العزل .

— ترك الحكم بما أنزل الله كما رواه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله ﴾ . وفي صور الحكم بغير ما أنزل الله المكفرة فالمسألة تعود الى هذه الصورة من أسباب العزل وهي الكفر والردة . وإذا كانت الأمة تملك حق عزل الخليفة عند وجود السبب الشرعى الداعى لذلك إلا أنه يجب أن يعرف جيداً بأن مجرد وجود السبب الشرعى للعزل لا يعنى بالضرورة لزوم تنفيذ العزل وشرع الله مصلحة كله وحيثما كانت المصلحة الحقيقية المنضبطة فثم شرع الله والأمر يحتاج الى نظر شرعى وواقعى سليم لا بد من الرجوع فيه لعلماء الأمة المعتمدين وإزالة المنكر لا ينبغى أن يزال بمنكر أعظم وعزل الخليفة من النهى عن المنكر فيخضع لقواعد وآداب الإنكار .

٧ — يقول تعالى عن نبيه يوسف قال : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ . إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ قال القرطبي « قال بعض أهل العلم : في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر والسلطان الكافر بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعل لا يعارض فيه فيصلح منه ما شاء وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهوته وفجوره فلا يجوز ذلك وقال قوم : إن هذا كان ليوسف خاصة وهذا اليوم غير جائز والأول أولى إذا أمكن على الشرط الذى ذكرناه والله أعلم » وقال أيضاً : « إن يوسف عليه السلام إنما طلب الولاية لأنه علم أنه لا أحد يقوم مقامه في العدل والإصلاح وتوصيل الفقراء إلى حقوقهم فرأى أن ذلك فرضاً متعيناً عليه فإنه لم يكن هناك غيره وكذا الحكم اليوم لو علم إنسان من نفسه أنه يقوم بالحق في القضاء أو الحسبة ولم يكن هناك من يصلح ولا يقوم مقامه لتعين ذلك عليه ووجب ان يتولاها ويسأل ذلك ويخبر بصفاته التى تستحقها به من العلم والكفاية وغير ذلك كما قال يوسف عليه السلام فأما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح لها وعلم بذلك فالأولى ألا يطلب لقوله عليه السلام لعبد الرحمن لا تسأل الإمارة » فإن في سؤاها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتا وصعوبة التخلص منها

دليل على أنه يطلبها لنفسه ولأغراضه ومن كان هكذا يوشك أن تغلب عليه نفسه فيهلك وهذا معنى قوله عليه السلام « وكل إليها » ومن أبأها لعلمه بأفاتها وخوفه من التقصير في حقوقها فرفضها ثم إن ابتلى بها فيرجى له التخلص منها وهو معنى قوله « أعين عليها » .

٨ — نظلم أنفسنا عندما نقيس الإسلام أو نقارنه بغيره من المناهج والفلسفات الوضعية الكفرية وشتان وفارق كبير بين النور والظلام وبين الإيمان والكفر فالحق أبلج والباطل ظلام وعلى الحق نور ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] . وفارق بين من كانوا يرون الإمارة والحكم تكليفاً ومغرمات مع كفائتهم وبين من يراه مغنماً وهو عار من شروط الولاية والحكم ولذلك لا عجب بعد ذلك أن نرى الضنك والشقاء في كل قطاع من قطاعات الحياة عندما يتولى الكفار والنساء إمرة الخلق ، وكيف يفلحون .

٩ — الحاكم أو الخليفة يحكم مدة حياته طالما كان قائماً بشئون الحكم محسناً في هذا التطبيق وقد اخترناه وفق هذه الضوابط والشروط التي سردناها وليس من أسباب العزل أن يمكث مدة الخمس سنوات فقط كما هو الحال في النظام الديمقراطي ثم يعزل بعدها بالتحتمية واللزوم والنبى ﷺ كان هو حاكم الأمة طيلة حياته ثم جرى العمل على ذلك في عهد الخلفاء من بعده ولا يصح أن تصحح الأمة محلاً للتجريب كل خمس سنوات من أناس لا كفاءة عندهم ولا حظ لديهم من شروط الإمارة والحكم .

الديمقراطية والديكتاتورية

ويقصدون بالديكتاتورية حكم الفرد وصور الطغيان التي تنجم عندما يتسلط على البلاد والعباد ويستقل بتصرف الأمور ، ونحن نرفض هذه التسميات الوافدة ولا نرضى بالإسلام بديلاً ولا عنه تحويلاً وأعداء الإسلام بعد أن زيفوا هذه الكلمات بمضمونها ومعناها وروجوا لها في أوساط المسلمين أستطاعوا التلاعب بجمهرة كبيرة من الناس فمن رفض الديمقراطية قالوا له إذا أنت ديكتاتوري ومن رفض الاشتراكية قالوا له إذا أنت رأسمالي وكأنه لا مجال للحق ولا للحقيقة وكأنهم أسقطوا الإسلام من حساباتهم أو أرادوا أن يسقطوه ويسكتوه حتى ينسى الناس إسلامهم ودينهم ثم يخجلون من التلفظ بإسمه أو التلبس بشعائره — وكلمة الديكتاتورية كثيراً ما تذكر في مقابلة كلمة الديمقراطية وكأنهما طرفي نقيض أحياناً نسمع بعض الديمقراطيين العلمانيين يقولون إن نظام الحكم في الإسلام نظام ديكتاتوري وفي ذلك يقول الأستاذ محمد قطب في كتابه شبهات حول الإسلام ص ١٦٤ (ويقولون إن نظام الحكم في الإسلام دكتاتوري بطبعه لأن الدولة فيه تملك سلطة واسعة ويزيد الأمر سوءاً أنها تملكها بإسم الدين بإسم شيء مقدس له على نفوس الناس سلطان ، فما أسهل ما يغرى هذا السلطان بالديكتاتورية وما أسهل ما تستنم له الدهماء وبهذا تختنق حرية الرأي ويصبح الخارج على الحاكم عرضة للإتهام بالخروج على الدين — فمن أين جاءوا بهذا القول الغريب على الدين ؟ أمن قول القرآن : ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] . وقوله : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء : ٥٨] . أم من قول أبي بكر « فَإِن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ؟ » أم من قول عمر : « فَإِن وجدتم في أعوجاجاً فقوموه » فيقول له رجل من عامة المسلمين : « والله لو وجدنا فيك أعوجاجاً لقومناه بحد السيف » ؟ نعم وجد الطغيان بإسم الدين . وما تزال أمثلة من هذا الطغيان تقوم في بعض البلاد ولكن من ذا الذي يقول إن الدين وحده هو ستار الطغيان في الأرض ؟ وهتلر ؟ هل كان يطغى باسم الدين ؟ وستالين ؟ لقد اعترفت الصحافة الروسية ذاتها بديكتاتورية

ستالين بعد موته — وقالت إنه كان يحكم روسيا حكماً بوليسياً فظاً لا يجوز أن يكرر أو فرانكو؟ وما لان في أو فرانكو؟ وما لان في جنوب أفريقيا؟ وشان كاي شك في الصين الوطنية؟ وماوتس تونج في الصين الشيوعية؟ كل هؤلاء يطغون باسم الدين؟ لقد رأى هذا القرن « المتحرر » من سلطان الدين أبشع ديكتاتوريات التاريخ بعنوانات أخرى لامعة لا تقل قداسة عن قداسة الدين في النفوس . وما يدافع أحد عن الدكتاتورية وما يرضاها إنسان حر الفكر والضمير ولكن استقامة الطبع والفكر تقتضى الإقرار بالحق الخالص دون ميل مع الهوى والشهوات والحق أن كل معنى جميل يمكن استغلاله والتستر وراءه لقضاء المآرب الشخصية وقد ارتكبت باسم الحرية أفظع الجرائم في الثورة الفرنسية فهل نلغى الحرية؟ وباسم الدستور سجن الأبرياء وعذبوا وقتلوا فهل نلغى الدساتير؟ وباسم الدين قام الطغيان حقاً في الأرض فهل يرر ذلك أن نلغى الدين؟ كان هذا يكون مطلباً معقولاً لو أن الدين في ذاته بتعاليمه ونظمه يؤدي إلى الظلم والطغيان — فهل يصدق ذلك على الإسلام الذى ضرب من أمثلة العدل المطلق — لا بين المسلمين وحدهم بل بين المسلمين وأعدائهم من المحاربين . ما أقربه حتى أولئك الأعداء في اكثر من حادث واكثر من فترة على مدار التاريخ؟ إنما علاج الطغيان أن ننشئ شعباً مؤمناً بقدر الحرية التى ينادى بها الدين ويحرص عليها فيصد الحاكم عن الظلم ويقف به عند حده المرسوم ولست أحسب أن نظاماً يهدف إلى ذلك مثل النظام الذى جعل من واجب الشعب تقويم الحاكم الظالم فيقول الرسول ﷺ من رأى منكم منكراً فليغيره ... ﷻ متفق عليه ويقول ﷻ إن من أعظم الجهاد عند الله كلمة عدل عند إمام جائر ﷻ رواه أبو دلود والترمذى إلى أن قال : « طريقكم إذن للتحرر أيها التقدميون ليس إلغاء الدين وإنما هو تعليم الناس هذه الروح الثائرة التى تنفر من الظلم وتقوم الظالمين وإنها في صميمها لروح هذا الدين . ا . ه .

أين الشورى في النظام الديمقراطي ؟

وهناك من يتسائل ويستغرب كيف نظرح مثل هذا العنوان وهناك مستشارون ومجالس نيابية وأخرى للشورى والديمقراطية تختلف كثيراً عن الديكتاتورية في أخذها بمبدأ الشورى بل لرفعها لهذا الإسم اتخذ بعض المسلمين فنادى بالديمقراطية أو قال أحياناً نحن تعيش على هامش الديمقراطية ؟ وقبل أن نفصل الإجابة نظرح عدة تساؤلات ماهى مجالات عمل الشورى — ماهى مؤهلات من نستشيريه — وإذا كنا نقول بوجودها فهل هى ملزمة للحاكم ؟ ونقول إجمالاً إن الإسلام نظام كامل لم يلحقه نظام وضعى ولم يسبقه قانون بشرى والواجب علينا جميعاً أن ندور مع إسلامنا حيث دار و نزن به الأقوال والأفعال وقول البعض عن الديمقراطية انها تعنى الشورى وأن الحاكم ينتخب ومناقشة رئيس الدولة فلا بأس فهى كلمات مقبولة ولكن أين المعنى الذى يندرج تحت هذه الكلمات وهل هذه المعانى توافق ما جاء فى شرع الله وإن وافقت فهل يصح أن تسمى الأشياء بغير اسمها فنطلق عليها وصف الديمقراطية وبالتبعية نروج للمفهوم الحقيقى للديمقراطية فى أوساط المسلمين ألا فلنتق الله ونعيش بالإسلام وللإسلام وننادى به وليس بشيء سواه . ونسوق كلاماً مختصراً وسريعاً عن الشورى فى الإسلام وما علينا بعد ذلك إلا أن ننظر مدى تطبيق هذه المعانى فى البلدان التى اخذت بالنظام الديمقراطى العلمانى وتزعم ظلماً وعدواناً أنها اخذت بنظام الشورى .

حكمتها : فالشورى حق للأمة وواجب على الخليفة فى قول اكثر الكتاب والمحدثين وهذا قول جمع من العلماء قديماً وحديثاً قالوا بوجودها إستناداً لنصوص الكتاب والسنة يقول تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ٣٨] . يقول ابن تيمية « لا غنى لولى الأمر عن المشاورة فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ . وكان ﷺ كثير المشاورة لأصحابه فقد شاورهم يوم بدر وأحد وشاور السعدين يوم الأحزاب حتى قال العلماء « لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ وجاء فى تفسير القرطبى « قال ابن عطية : والشورى

من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب
« فهل يحدث ذلك في نظام يفصل الدين عن الدولة ويحكم فيه بغير ما أنزل الله .
وذهب جمع من العلماء إلى استحبابها أو أنها سنة مؤكدة منهم الشافعي وأحمد وابن
تيمية .

من المعلوم بداهة والمتفق عليه بين العلماء أن الشورى لا تكون فيما نزل فيه وحى
كما اتفقوا على تخصيص عموم قوله تعالى ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ . ﴿ وَأْمُرْهُمْ
شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ بما لم ينزل فيه وحى ... فهل الشورى في النظم الديمقراطية تلتفت
إلى شرع أو دين وهل الأمر فيه وحى ام لا بل من عجيب الأمر أنهم في بعض
البلدان العربية التي تركت الحكم بما أنزل الله وأستبدلته بنظم وضعية وقوانين طاغوتية
أحياناً يجرون الإستفتاءات وسط الناس ويستشيرون نواب الشعب في تطبيق شرع
الله وهذا لا يجوز فما أنزل رب العزة جل وعلا حكمه على خلقه لكي نتشاور فيه
أنطبقه أم لا ﴿ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ
يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة : ٤٩] . ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] . والحكم والخلافة إنما وضعت لتطبيق الدين
وسياسة الدنيا به ولذلك خابوا وخسروا عندما تشاوروا هل يطبقون شرع الله أم لا
وخابوا وخسروا ثانياً عندما راغوا روغان الثعالب فلم يطبقوا دين الله رغم مطالبة
جماهير الشعب قاطبة مرات كثيرة بذلك حتى بحت الأصوات فأين ما ينادون به من
ديمقراطية واحترام لرأى الأكتية فلاهم استقاموا على شرع الله ولا هم أيضاً طبقوا
مناهجهم الخرية نزولاً على رأى أسيادهم في الشرق والغرب الذين يحاربون الله بكل ما
يملكون ويواصلون الليل بالنهار في ذلك فانتقلوا بذلك من باطل إلى باطل ومن طغيان
إلى طغيان وصحيح ان اكثر حالات الشورى التي تمت في عهده صلى الله عليه وسلم كانت في
أمور الحرب ولكنها لم تقتصر على ذلك بل اشتملت أيضاً كثيراً من الأمور الدنيوية
الأخرى ذات الأهمية والخطر بالنسبة للدولة ومستقبلها والأمور الشرعية التي لم يرد فيها
نص وكان الغرض من المشاورة في مثل هذه المسائل هو البحث عن النص واستطلاع
الرأى لأنه ربما يكون في المسألة نص خفى على بعضهم دون بعض أو تكون مشاورتهم

بقصد الوصول الى فهم صحيح لنص معين اختلفت الأنظار في فهمه فاذا وضع النص وضح فلا مجال للتشاور بعد ذلك بل التسليم المطلق والإنقياد لأمر الله ورسوله ولذلك كان من سنة الصحابة رضوان الله عليهم سؤال النبي ﷺ عند إرادة طرح وجهات نظرهم في مسألة ما هل هو أمر منزل لا مجال فيه للرأى أم لا ؟ نحو قول الحباب بن المنذر « هل هو منزل أنزلكه الله ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ » ونحو كلام السعدين يوم الخندق وغيرهما — ولو قالوا هل نطبق هذا الحد الثابت في الكتاب والسنة أم لا ؟ لكانت كفراً وردة عن دين الله وليست شورى فلتسمى الأشياء بإسمها ولأن الإسلام هو الإستسلام والإذعان والإنقياد لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وطالما أن الإسلام في طيات الكتب على الرفوف فالظلم والإستبداد سيقى وإن أنشئ هناك مجالس صورية للشورى تنتظر الإشارة من رؤسائها فقط فتقر الذى يهونون كما هو واقع اليوم . يقول صاحب كتاب الإمامة العظمى ص ٤٥٥ (أما دعاة الديمقراطية ومحاكاة الغرب في كل شئ ومحاولات التقريب بين الإسلام والكفر المتمثل في وثنيات الغرب المعاصرة فهذا هو طلب المستحيل حقاً لأنه لن يجتمع الحق مع الباطل أبداً وإن التقيا في بعض الجوانب وتلك سنة الله في خلقه فالإسلام شرع الله ومنهجه ومضمونه عبادة الله وحده لا شريك له أما الديمقراطية فشرع الكفار ومنهجهم ومضمونها عبادة البشر بعضهم لبعض ووسيلتها الأولى فصل الدين عن واقع الحياة العملية وشتان بين الكفر والإيمان وهؤلاء نقول صححوا إيمانكم ومعرفتكم بالله وشرعه أولاً ثم بعد ذلك تعالوا لتعالجوا مثل هذه القضايا . فإن في شريعتنا . والله الحمد الغناء كل الغناء والإكتفاء كل الإكتفاء ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقَوْمُ يُوقِنُونَ ﴾ . م . هـ .

وسواء كانت الشورى واجبة أو مستحبة معلمة أو ملزمة فلا ينبغي أن ننسى شروط الحاكم الواجب توافرها فيه من العلم والعدل والورع والأمانة وأن يكون مجتهداً أو يصلح أن يولى قاضياً فمن كانت فيه هذه الشروط فمن المؤكد أنه لن يتأخر عنها ساعة خاصة في مهمات الأمور بل هو الذى سيطلب الإستشارة من تلقاء نفسه دون أن تفرض عليه لما لها من الفضل وسداد الرأى وأنها أقرب طريق للوصول إلى الحق . وهو في ذلك يستن بسنة رسول الله ﷺ ويتقرب الى الله بمشاورة أهل العلم

والدين وذوى الخبرة والاختصاص حتى وإن كانت الشورى مستحبة وإذا ظهر له الحق اتبعه لأنه يعلم أنه سيقف بين يدي ربه ولأن يكون ذنباً في الحق خير من أن يكون رأساً في الباطل ولذلك فهو يعمل بالصواب الذى يظهر من خلال الشورى وما فيه مصلحة لا بهواه وشهوته . وإذا كان الحاكم مجتهداً على هذا النحو وخالف رأيه الأكثرين وأصر على رأيه فعلى الرعية السمع والطاعة له في غير معصية لله جل وعلا — فدين الله ليس دين أكثرية ولكن هو دين أعرف الحق تعرف أهله وأعرف الباطل تعرف من آتاه — والذى يلفت الانتباه حقاً في هذا المقام هو تشدد أكثر الكتاب المحدثين في هذا الموضوع مع أنه من المعروف عنهم في الغالب التساهل وتتبع الرخص وعض الطرف عن كثير من المسائل الإلزامية الواجبة بالنصوص الصريحة ولعل السبب في ذلك هو ما ابتلوا به من حكام ظلمة لا علم سديد عندهم يدهم على الخير والصواب ولا خوف من الله وورع يجعلهم يحرصون على إصابة الحق والإهتمام بشؤون رعاياهم ويجعلهم يرفعون الظلم والإستبداد والتعسف عن تحت أيديهم وقد حاول بعض من انبهر بديمقراطيات الغرب الوثنية أن يثبت مثل هذا الموضوع حتى يقال إن ما عندكم في الديمقراطية هو عندنا في الإسلام أو في ديمقراطية الإسلام كما يحلو لبعضهم أن يسميها ومن ثم فلا فرق بيننا وبين الغرب !! وشتان بين الشورى في الإسلام والديمقراطية عند الغرب — ولا شك أن البلايا الموجودة سببها غياب الإسلام عن التطبيق في الواقع فالعلاج الصحيح إذاً هو السعى إلى قيام الخلافة الإسلامية الصحيحة التى تمثل الإسلام تمثيلاً صادقاً ومن ثم فإنها سترفع مشكلة الإستبداد والظلم وستسد كل باب للإتهام والإفتراء على الإسلام وتلقم المعاند الحجر وتقنع طالب الحق بالواقع لا بالكلام وسواء تمت الشورى بعد ذلك في المسجد أو أنشأتها مكاناً خصيصاً لها أو اختارت الأمة مستشارين أو مجلساً للشورى فلا مانع من ذلك طالما أنه تم على النحو الذى يلائم ظروفها وبحق مقصود الشورى ومعرفة رأى الأمة ووضع القوانين المفصلة والمنظمة للشورى أمر لا غبار عليه طالما سار الأمر وفق قواعد الشريعة ومبادئها وأحكامها في نظام الحكم ولا بد في ذلك من اشاعة المفاهيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية وتربية الأفراد على معانى العقيدة ومخافة الله وتقواه في السر والعلن فهذا يقف الإنسان عند الحدود الشرعية ويقوم بواجبه على الوجه المرضي

سواء أكان هذا الواجب في انتخاب أعضاء مجلس الشورى أو في قيام هؤلاء بإبداء آرائهم أو في إبداء آحاد الناس آرائهم فيما يرونه من وجوه المصلحة .

أين الحرية الحقيقية في النظام الديمقراطي ؟

الحرية كلمة براقعة لها عذوية في الأفواه ولذة في الأسماع يتغنى بها الشعراء ، نادى بتحقيقها المصلحون ووضعت المخططات للحصول عليها والتخلص من أسر العبودية وبذلت الأمم الأموال والأرواح لتحقيقها وجعلت اليوم الذى حصلت فيه عليها عيداً ولا تجد أمة تستعذب طعم العبودية وتمتق الحرية ولكن دائرة العبودية التى يهرب منها البشر دائرة ضيقة يظنون أنهم إن تخلصوا منها فقد تحرروا وواقع الأمر ليس كذلك فتراهم يرسفون في قيود العبودية المقيتة وهم لا يشعرون ويحتفلون بأعياد الحرية وهم غرقى في أسر العبودية ومن هنا كان لابد من ميزان وضابط تزن به الحرية الحقيقية من الخداع والزيف وخصوصاً في وقت كثر فيه الخداع والتلبيس ورفعت فيه الشعارات والتهافتات والصيحات من أناس خفا عليهم الكلام فتكلموا .

ضابط الحرية الحقيقية :

التحرر الحقيقى يعنى الخضوع لله-وحده وأخذ منهجه دون سواه والتحاكم الى شرعه دون بقية الشرائع ، والحرية في الإسلام تقرر في صورة العبودية وهى أن تُعبد نفسك لله وحده في توجهات قلبك وعقائده وفي مسار فكرك في أقوالك وأفعالك وفي القوانين التى تهيمن على المجتمع ﴿ قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢] . ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] . بل المشاعر والأحاسيس والعواطف والوجدانات والخلجات إنما تخضع لهذا الميزان ولهذا الضابط أيضاً ويتخوف المسلم على نفسه منها إن خالفت كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وينزلها منزلة الوسوس التى لأن يختر من السماء إلى الأرض لكان أهون عليه من أن يجدها أو يشعر بها روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : « إن أناساً من أصحاب

رسول الله ﷺ سألوه إنا نجد في انفسنا ما يتعاضم أحدنا أن يتكلم به قال أوقد وجدتموه قالوا نعم قال ذاك صريح الأيمان وأورد الإمام مسلم في كتاب الإيمان باباً بعنوان « بيان الوسوسة في الايمان وما يقوله من وجدها » فلم يجزؤ احد من الصحابة أن يصرح بأعيان تلك الخواطر التي اعترتهم حتى بلغت منهم شدة الحذر من ذلك مبلغاً يفسر لنا حديث ابن عباس عند أبي داود قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن أحدنا ليجد في نفسه (يعرض بالشيء) لأن يكون حُقمه إليه من أن يتكلم به — فهؤلاء الأفاضل الكرام رضوان الله عليهم جميعاً كانوا يقيسون كل شيء بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهذا هو ميزانهم حتى فيما يتعلق بمشاعرهم التي قد لا ينفك عنها البشر إذا غفلوا عن ذكر ربهم فأين هذا من أصحاب الأدب الرخيص الذي يعبرون فيه عن كل ضياع ويروجون به للفسق والرذيلة ويطلقون عليه بعد ذلك اسم الأدب المكشوف أو الأدب الغريزي أو أدب الجنس ويطلقون فيه على هذه الوسوس الشيطانية إسم ضدق الحس وعمق الشعور والوجدان — والناس حين يرفضون عبودية الله فسيعبدون أنفسهم لا محالة إلى مخلوقات مساوية لهم أو أقل منهم شأنًا لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ولذلك يقول النبي ﷺ : ﴿ تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميعة إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس عبد القطيفة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ﴾ [رواه البخارى] . وهذا دعاء عليه وبيان أن الإنسان إما أن يكون عبداً لله وإما أن يكون عبداً لهذه المخلوقات والعبادة هي كمال الحب مع تمام الخضوع والذل فإذا اجتمع الأمران أطلق وصف العبادة وإلا فقد يطيع زوجته أو امرأة ويخالف أمره فيطلق على الأمر وصف المعصية وقد قال الله تعالى على لسان ابراهيم ﴿ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنَّى أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٤٤] . ومن عجيب الأمر في زمن امتلاء بالعجائب لما انحرف عن منهج العبودية لله سبحانه أن نجد من يطلق على المغنين والمغنيات والفاسقين والفاسقات اسم معبود الجماهير ومعبودة الجماهير ولذلك نحتاج إلى إيمان مبصر يغرس في القلوب ويحررها من العبودية للطواغيت والأصنام حجراً كانت أم بشراً . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ

أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ آل عمران : ٦٤ .

صور ومظاهر للحرية الحقيقية :

ذهب ربيعي بن عامر رضى الله عنه إلى رستم قائد الفرس المشهور وكان الأخير قد طلب أن يعرف ما هو الإسلام فلما قدم عليه ربيعي قال له من بعثكم فقال ربيعي : « ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام » فهذا هو المسلم وهذه هي كلماته عندما يخلص العبودية لربه جل وعلا عبارات تنطق بالنور وتعبر عن صور ومظاهر الحرية الحقيقية لا الحرية الزائفة التي يتشدق بها الناس وقد وقعوا أسرى الفلسفات والمناهج الكفرية الخربة والعقائد الباطلة واستعبدهم البشر الذين نصبوا من أنفسهم أرباباً مع الله ووضعوا هالة من الأساطير حولهم وزعموا أن الدماء الزرقاء تجرى في عروقهم كهذا الفرعون الذى قال للناس ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [التازعات : ٢٤] . ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ [الزخرف : ٢٤] . وقال : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر : ٢٩] . فما كان من قومه إلا أن أستجابوا له ﴿ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف : ٥٤] . وأحيانا كانت تصرف العبادة من الناس لأناس صالحين لم يريدوا مثل هذا التقديس ولا أن يرفعوا فوق مرتبتهم كبشر لا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وكانوا يردون هذا الغلو على أصحابه ومثلهم الأعلى في ذلك رسول الله ﷺ فعندما آتاه البعض بمدحه قال : ﴿ لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح بن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ﴾ وذلك لأن سبب شرك النصارى هو الغلو فى المسيح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام والأمر عند أهل الكتاب لم يقتصر على الغلو فى عزيز والمسيح وصرف العبادة لهما من دون الله وإنما حدث غلواً أيضاً فى الأبحار والرهبان ولذلك يقول تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ بِنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : ٣١] .

والإسلام جاء ليحرر العباد من عبودية العباد إلى عبادة الله وحده وهذا التحرر يجب أن يشمل أول ما يشمل مكب العبد ولأن قلب ملك مؤثر ﴿ وفي حديث من النعمان بن بشير الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه ألا إن لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغه إذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ﴿ رواه البخارى ومسلم . والقلب هو محل الاعتقاد وموضع الهم والإرادة والنية وصلاح الاعتقاد بمعرفة العبد بربه وصفاته والملائكة والكتب والرسول واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره والإخلاص فى ذلك لرب العزة جل وعلا ﴿ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿ [الزمر : ٢] . ويتحقق معنى الشهادة ﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾ يحقق العبد العبودية لله ربه ومولاه .

تحرير القلب يجب أن يتم بتحريره من الخوف من الآلهة المزيفة والطواغيت والظلمة ، والطواغيت يحاولون فى كل عصر أن يغرسوا فى قلوب العباد الرهبة من أوليائهم واندادهم وقد قص علينا ربنا قول إبراهيم فى محاجته لقومه قال : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿ [الأنعام : ٨١] . ولما قال موسى وهارون عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّعَى ﴾ [طه : ٤٥] . كانت الإجابة من رب العزة ﴿ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٦] . والشيطان يحوف عباد الله المخلصين أوليائه الضالين ﴿ إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] . التوكل على الله فلا يتحرر العبد حقيقة إلا إذا كان تعلقه بالله وتوكله عليه والأنبياء والمرسلون هم أعظم الخلق توكلأ على الله عز وجل ﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود : ١١٣] . ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] . وهذه الكلمة على وجازتها جمعت معانى القرآن كله وقد اقترنت فيها العبادة بالتوكل وهذه

الامة تعود إلى ربها وتوكل عليه ينزل سبحانه لهم نصره ويحل عليهم رضوانه كما حدث مع سلفهم الصالح يقول ربنا جل وعلا عن غزوة الأحزاب : ﴿ إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب : ١٠] . كان الصحابة يومئذ على الرغم من هذا الهول وهذه الجحافل الشركية الجرارة التي أتت من كل حذب وصوب كلهم توكل على ربهم ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] . وكانت نتيجة المعركة ما ذكره الله تعالى ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . وكان هذا هو موقفهم دائماً من قبل ومن بعد ففى غزوة أحد خرجوا إلى حمراء الأسد صبيحة يوم أحد على ما بهم من جراح وآلام نزولاً على أمر الله وتوكلاً عليه ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . وكان الحكام الصالحون يربون الجنود على المفاهيم الإسلامية فكانوا ينتقلون من نصر إلى نصر ومن عز إلى آخر كخالد بن الوليد الذى سمع جندياً يقول قبل معركة اليرموك ما أكثر الروم وأقل المسلمين فصاح فيه خالد بل ما أقل الروم وأكثر المسلمين ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٤٩] . ولما أخذ قائد الفرس يتهدد المسلمين ما كان من القائد المسلم إلا أن قال : ﴿ جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة ﴾ ثم ما الذى حدث بعد ذلك هل استقامت سيرة الأمة على ما استقام عليه أوائلها كلا وجهوا الوجوه إلى روسيا تارة وإلى أمريكا تارة ثانية وإلى مجلس الأمن وهيئة الأمم وسائر اللعب اليهودية فتوالت الهزائم . وما نزل بلاء إلا بذنب كما قال على بن أبى طالب — « وسلطت سيوف أعداء الله المجرمين على الأمة التى ضلت عن دينها ويوم تعاود دينها سيعود لها عزها وتمكينها بإذن الله تعالى فهناك قوة أعظم وأكبر من قوة الدول العظمى يمكنها أن تغير مسار المعارك والحروب » ﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾ [البروج : ٢٠] .

الحريات الزائفة في النظام الديمقراطي

تنص النظم الديمقراطية على حق الشعوب في الحرية وإعطاء حرية العقيدة والرأى والتملك والحرية الشخصية للأفراد على إختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم وتحمى هذه الحريات ولكن بشرط أن لا تستخدم هذه الحرية للتخريب وإشاعة الفتنة والفرقة بين الناس — أما إذا استخدمت الحريات لهذا الغرض فإن هذه القوانين تمنع هذه الحرية وتضرب على أيدي مستغليها لذلك الغرض التخريبي الذى يؤدي فى النهاية إلى هدم النظام القائم . وهذه هى معانى الحرية وهى عبارة عن كلمات مجملة لابد من تفصيلها وتوضيح ما تنطوى عليه من معان ومخالفات لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وما آل إليه واقع الحال بسبب تطبيق هذه الكلمات ففى ظل النظام الديمقراطى أصبح البعض يطعن فى الرسالة ويكفر ويرتد وينشر المناهج الكفرية الخربة فى وسط المسلمين تحت شعار حرية الرأى والتعبير . ويتملك المال بأى طريق حتى ولو بالربا ولا إعتراض عليه فى النظم الديمقراطية طالما أنه لم يتملكه بالإكراه .

بل ويزنى ويُزنى به عملاً بالحرية الشخصية ولا عقوبة إذا وقعت الفاحشة بالتراضى بين الرجل والمرأة وقد قرأت خيراً فى جريدة الوفد مؤداه أن فتاة ذهبت إلى القضاء تشتكى شاباً زنى بها فذهب هو والمحامى وأقر بالزنى بها ولكنه قال إنه تم برضاها وكأنه كان يجيد الإفلات من القوانين الوضعية ومعلوم أن الإقرار هو سيد الأدلة — ولاشك أنها حريات خاطئة وغير عملية وكلمات الحرية حين أطلقت كانت كلمات عامة مطلقة بمثابة السيارات التى تنطلق دون فرامل وإلا فمن الذى يحدد النسب والشرط الذى وضعته النظم الديمقراطية وهو عدم إشاعة الفتنة والفرقة أصبح يستخدم أسوأ استخدام فى الصد عن سبيل الله ومنع الحق وإعطاء الفرصة لكل باطل وكفر أن يطل برأسه تعبيراً عن نفسه وترويحاً لما هو فيه وعليه من انحراف وأصبح المحافظة على النظام العلمانى هو الغاية حتى وإن كانت هذه الحرية على حساب دين الله تبارك وتعالى — وقد حاول الغرب الإجابة على السؤال بتحديد نسب الحرية دون جدوى حتى يومنا هذا فتارة يقولون لا ينبغى أن تصل الحرية إلى

حد الفوضى أو أنها لا ينبغي أن تكون على حساب الآخرين أو أنها تنتهى عند معارضة مصالح الآخرين أو حرياتهم ، تقول البروتوكولات عن المبادئ التى رفعتها فرنسا والتى يسمونها بأى المبادئ التحررية فى العالم أجمع (حرية — مساواة — إخاء) (كنا أول من اخترع هذه الكلمات التى أخذ العميان يرددونها دون تفكير) وهذه المبادئ عبارة عن كلمات جوفاء متناقضة روج لها اليهود لضرب الدين والعقيدة وأصبح اليهود بمقتضاها يمارسون أنشطتهم كإنسانيين وأصبح الدين أمراً شخصياً فالحب والإخاء يكون فى سبيل الوطن أو القومية وأصبح لا فرق بين مسلم وكافر وكانت الحريات على قدم المساواة بين الناس جميعاً ليس فقط لمن أراد أن يرقص ويثير الفواحش وينشرها على الملأ بل لمن وصف دين الله بأنه رجعى ومتخلف ومن التزم به متطرف وعنده هوس دينى ، ومن عجيب الأمر وفى الوقت الذى تعطى فيه الحريات لكل كافر ومنحل وأصبح فيها الحبل على الغارب نجد تضيقاً على المسلمين وحرماً هنا وهناك بل وفى فرنسا التى رفعت المبادئ الإنسانية والتحررية فقد رأينا كيف قامت الدنيا ولم تقعد بسبب إرتداء الفتيات للحجاب هناك وإبادات جماعية للمسلمين تدور فى روسيا على يد هذا الخبيث (جورباتشوف) الذى أطلق الحريات كما يقولون هنا . وكأن الإنسان إذا رقص أو زنى فى النظم الديمقراطية فهذه حرية شخصية أما أن يطلق لحيته أو تتجلبب المرأة فهذه هى الرجعية والتخلف ولابد من منع اللحية والنقاب . فهل يقصدون بالحرية التفلت من شرع الله وهدم دين الله يقول أحد القادة العرب : « لابد أن نجعل المرأة رسولاً لمبادئنا التحررية ونخلصها من قيود الدين واستجابات بعض النسوة وخرجت تهتف وتغنى « أعطنى حريتى أطلق يدى » وأصبح من الكلمات الدارجة على الألسنة قول البعض « كل إنسان حر » أى فى أن يفعل ما يشاء ويقول ما يريد دون رادع ، وسمعنا أيضاً عمن يسمى « بأصحاب الفكر الحر المستنير » وغيرها من الكلمات التى زخرفوا بها الباطل والضلال .

حرية الفكر

حرية الفكر لدى التقدميين تعنى الإلحاد وإذا كان الإسلام لا يبيح الإلحاد فهو إذن لا يبيح حرية الفكر على هذا النحو الذى تطالب به هذه النظم المارقة وما حدث من الكنيسة فى أوروبا من خنق لحركة العلم وتحريق العلماء وتعذيبهم وفرض الخرافات والأكاذيب على الناس باسم كلمة السماء الأمر الذى ولد عندهم الدعوة لحرية الفكر وفصل الدين عن الدولة ، هذا الأمر الذى حدث فى أوروبا ما حاجتنا نحن إليه وما علاقة الإسلام به وليس فى العقيدة إشكال يحير الذهن فالله خالق كل شىء وإليه المرجع والمآب يحكم سبحانه لا معقب لحكمه ويقضى ولا راد لقضائه . أعطى كل شىء خلقه ثم هدى وله الأسماء الحسنى أمر عباده أن يسلموا وجوههم له ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ وسخر لهم الكون من حولهم يأخذون بأسباب التطور ويقيّمون حضارة على منهج العبودية لله فى أرضه وبحيث تتطابق السنن الشرعية مع السنن الكونية — وليس فى الإسلام رجال دين كالذين كانوا فى أوروبا فالدين دين الله ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا ﴾ والناس إما عالم أو متعلم ولا ينبغى لأحدهم أن يكون إمعة ينساق وراء كل ريح وأكرم الناس عند الله أتقاهم سواء كانت وظيفته مهندساً ومدرساً أو عاملاً ولا واسطة بين الخلق وخالقهم إلا واسطة التبليغ ﴿ فمن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم ﴾ . والدين ليس حكراً لأحد ولا هبة وإنما هو لمن يحسن فهمه وتطبيقه حتى لو لم يتخرج من الأزهر ولا يصح لأحد أن يتكلم فى دين الله بغير علم ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] . وباب الإجتهد مفتوح لمن حصل أدوات النظر فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ وكانت عنده الأهلية فى ذلك ومن لم يكن كذلك فإنه يرجع لعلماء الأمة المعبرين لمتابعة فهمهم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] . ولكل علم عالم فكما أن للهندسة علماءها وللمطب علماءه

كذلك الأمر بالنسبة لدين الله — والأزهر بوصفه معهداً علمياً دينياً ليس سلطة تحرق العلماء أو تعذبهم أو تفرض الإتاوات والخرافات كما فعلت الكنيسة بجزعلائها . بل لو أخطأ أحد علماء الأمة لوجب رده وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وقد رأينا كيف قال كثير من العلماء علماء الأمة إذا رأيتهم قولى يخالف قول رسول الله ﷺ فخذوا بقول رسول الله ﷺ واضربوا بقولى عرض الحائط . ونحن عندما ننادى بتطبيق شرع الله والرجوع لدين الله فإننا نعنى بذلك أن نصبغ بصبغة الإسلام أفراداً وجماعات فى السياسة والاقتصاد والإجتماع والأخلاق وحيثئذ ستظل الهندسة بيد المهندسين وشئون الطب فى يد الأطباء وشئون الاقتصاد فى يد الإقتصاديين ... الخ . بشرط أن تستقيم فى ذلك كله على شرع الله ولا تصطدم فى معنى من معانيه بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . وليس فى العقيدة الإسلامية ولا النظام الإسلامى ما يقف فى طريق العلم المبني على أسس سليمة والعلم الصحيح لا يتعارض مع عقيدة المسلم فى أن الله هو الذى خلق كل شىء ولا يتعارض مع دعوة الإسلام للناس أن ينظروا فى السماوات والأرض ويتفكروا فى خلقها ليهتدوا إلى الله وقد اهتدى إلى الله كثير من علماء الغرب والشرق الملحدون أنفسهم عن طريق البحث العلمى الصحيح — فهل يصح بعد ذلك أن ننادى بجرية الإلحاد والكفر والإلحلال الخلقى والفوضى الجنسية بغير رادع تلك هى حقيقة المسألة وليس الجانب الفكرى إلا ستاراً يغطون به عبوديتهم للشهوات ثم يزعمون أنهم أحرار الفكر وليس الإسلام مكلفاً أن يطيع العبيد الذين أسرفوا على أنفسهم وأسرتهم واستعبدتهم شهواتهم والحرية الحقيقية كما نفهمها هى تحرير الفكر من الخرافة والشرك والشعوذة وتحرير الناس من الطغيان وهذه وتلك يملكها الناس فى ظل الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً فما الهدف الذى يريد الديمقراطيون تحقيقه إذن ؟

الخبر الصادق وإشاعة الفاحشة

أصرت كثير من الصحف ووسائل الإعلام على تخصيص جانب من مساحتها وجزء من جهودها لتتبع هذه الفواحش والقاذورات ونشرها على الملأ . يفعلون ذلك ويظنون أنهم يحسنون الصنع لتعريضهم الحقيقة كما يقولون وفضح بؤر الفساد وعذرهم في ذلك صدق الخبر وحرية التعبير والنشر ، ونذكر الجميع الذين ينشرون الجرائم الخلقية والذين يقرون نشرها نذكرهم بأن الله محاسبهم على جريمتهم هذه ولهم عذاب أليم وهذا العذاب دينوي كما هو أخروي ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور : ١٩] . ومن العذاب الديني أن يجلد من ينشر فاحشة لا يستطيع أن يقيم الأدلة والبراهين على ثبوتها — والبينة على من ادعى — ولذا شرع الإسلام حد القذف فإذا ما أتهم شخص امرأة بالزنا — مثلاً — وليس لديه أربعة شهود فيقام عليه الحد فيجلد ثمانين جلدة . والقاذورات والخبائث يجب أن تستر ولا تنشر وخصوصاً إذا كان مرتكبوها غير مشهورين بذلك . ونشر الفواحش على هذا النحو من شأنه أن يغري ويجريء الأبرياء والأصحاء بمقارفة الجريمة وهذا ما ضجت منه المجتمعات الغربية والذين ينشرون هذه الجرائم أنفسهم يعلمون ما تحدثه الأفلام التي تعرض الجريمة من نشر للإجرام وترويج الصحف لا يكون بمثل هذا العمل غير المشروع ولا بنشر مثل هذه الجرائم وليس معنى ذلك الا يعاقب مقترفوا هذه الجرائم وألا يؤخذ على أيديهم وإنما نريد أن لا تنشر على الملأ وتكتب في الصحف والمجلات ولا شك . أن الذين يقترفون الفواحش آثمون والفواحش كلها نجاسات وقاذورات وخبث وذنس والذين يشيعون الفاحشة وزرهم عظيم عند الله فليتقوا الله ربهم وليخشوا عذابه وأليم عقابه وليعلموا أن الكلمة أمانة ويجب أن تستخدم في الإصلاح لا في الإفساد وليحذروا سبيل قوم عناهم الله بقوله ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى أَحَدُهُمْ سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٠٥] . فاتقوا الله في أنفسكم ، واتقوه في أولادكم وبناتكم ، واتقوه في مجتمعاتكم .

ضوابط وحدود حرية الرأي

فإبداء الرأي له حدود وضوابط لا بد من مراعاتها وإلا فالجبل لا يصح أن يطلق على الغارب ولا بد من نية وصحة أو إخلاص ومتابعة ومن هذه الضوابط :

١ — أن يكون قصد صاحبه بذل النصح الخالص للخليفة أو الحاكم أو المسئول ففي الحديث الصحيح الذى رواه الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال : ﴿الدين النصيحة ثلاثاً قلنا لمن؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم﴾ فلا يجوز للفرد أن يقصد فى بيان رأيه فى تصرفات الحكام لتشهير أو تكبير سيئاتهم أو إنتقاصهم أو تجرئ الناس عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الباطلة التى لا يراد بها وجه الله ولا الخير للمنصوح ولا المصلحة للأمة .

٢ — أن يكون بيان المسلم لرأيه فى تصرفات الحكام على أساس من العلم والفقهاء فلا يجوز أن ينكر عليهم أو ينتقصهم فى الأمور الإجتهدية التى لا نص فيها لأن رأيه ليس أولى من رأيهم مادام الأمر اجتهادياً .

٣ — لا يجوز للأفراد إحداث الفتنة ومقاتلة المخالفين لهم بالرأى إذا لم يأخذوا برأيهم مادام الأمر يحتل رأيهم ورأى غيرهم ويراعى فى ذلك الضوابط الشرعية وذلك لأن شرع الله مصلحة كلة وحيثما كانت المصلحة الشرعية المنضبطة فثم شرع الله — ودرأ المفسد مقدم على جلب المصالح — وإختيار أخف المضرتين دفعا لأعلاهما وتفويت أدنى المصلحتين استجلاباً لأعظمها وما خاب من استخار الخالق واستشار المخلوق وكل هذا يحتاج إلى بصيرة بالشرع والواقع .

٤ — لا يجوز التشهير والظعن والسباب وفاحش الكلام والإفتراء والتضليل بحجة إبداء الرأي فليس من حق أحد أن يشيع الفساد بحجة إبداء الرأي ﴿وقل لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ﴾ (الإسراء : ٥٣) .

وقد ورد في كتب أهل العلم التحذير من آفات اللسان وهل يكب الناس على وجوههم أو قال النبي ﷺ : ﴿ على مناخرهم إلا خصائد ألسنتهم ﴾ . [ابن ماجه والترمذى والحاكم وصححه على شرط البخارى ومسلم] .

٥ — لابد من العدل في الغضب والرضا والعدل واجب حتى مع الكافر ﴿ ولا يَجْرِ مِنْكُمْ شَنْآنٌ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعدلوا هو أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨] . ولا بد أيضاً من الحذر من الفجر في الخصومة فهى من خصال المنافقين وأبغض الرجال عند الله الألد الخصم أى الذى يفجر في خصومته .

٦ — إبداء رأى لا يتم على وجهه الصحيح إلا بتربية الأفراد على معانى العقيدة الإسلامية ومحافة الله وتقواه سبحانه في السر والعلن وقيام الحاكم بمشاوره أهل الحل والعقد لا يعنى أن غيرهم من أفراد الأمة لا حق لهم في إبداء آرائهم في شؤون الحكم وتصرفات الإمام فالواقع أن لكل فرد أن يبدى رأيه فيما يرى فيه المصلحة أو إزالة المفسدة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من صفات المؤمنين والولاية المنعقدة بينهم بسبب ذلك يقول تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [البقرة : ١٤٣] . ويقول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح المشهور ﴿ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلمه وذلك أضعف الأيمان ﴾ والقيام بهذا الواجب يستلزم تمتع الفرد بحق ابداء رأى بالمعروف الذى يأمر به وبالمنكر الذى يريد تغييره وهذا الحق للأفراد متمم للشورى وبه يعان الحاكم على معرفة الصواب وتجنب الخطأ فقد يفوت أهل الشورى بعض الأمور التى يعرفها غيرهم من أفراد الأمة وعلى هذا فلا يجوز للحاكم أو لغيره من أولياء الأمور الانتقاص من هذا الحق للأفراد كما لا يجوز للأفراد التنازل عنه أو تعطيله لأنه حق أوتوه من الشرع لئتمكنا من أداء ما افترض الله عليهم من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولهذا كان الحكام الصالحون يربون المسلمين ويحثونهم على إبداء رأى وقد حدث أن قال رجل للفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوماً « اتق الله يا

عمر « فما كان من عمر إلا أن قال « ألا فلتقولوها فلا خير فيكم إن لم تقولوها ولا خير فينا إن لم نسمعها » . وفي خطبة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه قال « فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني » . والبون شاسع والفرق كبير بين الحرية المضبوطة بشرع الله وبآداب الإسلام وهذه الحريات والهلاميات في النظام الديمقراطي .

حرية التملك

يقول تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] . وهذه الوسطية متحققة في كل ناحية من نواحي الحياة ومنها جانب التملك فبينما تمنع النظم الاشتراكية الإلحادية التملك وتقف الرأسمالية في الجانب المقابل فأطلقت حرية التملك بلا قيد أو شرط إلا الغضب والإكراه نجد أن الإسلام قد راعى الفطرة التي أودعها الله في نفوس عباده وحقق العدل والمصالح الحقيقية للبلاد والعباد في نظام التملك فلا بأس أن يملك الإنسان الملايين ولكن عليه أن يأخذ المال من حله وأن يضعه في حقه والمسلم يسأل عن ماله من أين أخذه وفيما أنفقه ولذلك قال العلماء مصيبتان في مال العبد لم يسمع بهما الأولون والآخرون — « يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله إذا مات » والمسلم يملك المال بوسائل كثيرة منها :

- ١ — العمل في الصناعة والزراعة والتجارة والصيد وإحياء الموات والمضاربة .
- ٢ — الميراث .
- ٣ — الأعطيات التي تدفعها الدولة لرعاياها .
- ٤ — الهدية والهبة أو الوصية . ويحرم عليه التملك بوسائل منها :

١ — الغش

٢ — الإحتكار

٣ — الغبن الفاحش

٤ — الربا

٥ — القمار

٦ — التسعير بلا ضرورة .

٧ — التأمين الذى يعتبره العلماء ربا وقماراً وغرراً مثل التأمين على الحياة

وعلى الساقين والحنجرة والعينين .

ويمنع المسلم من الإسراف بل ويحجر عليه فى نفقة الدرهم فى حرام كما يمنع أيضاً من الهبة فى مرض الموت ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم مِّنْكُمْ ﴾ [النساء : ٥] . ولا يصح له أن يزيد على الثلث فى الوصية لقول النبى ﷺ لسعد بن أبى وقاص حين هم بأن يتصدق بكل ماله ﴿ الثلث والثلث كثير . إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة يتكفون الناس ﴾ [وهو فى الصحيحين] ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿ وددت لو أن الناس غصوا من الثلث إلى الربع ﴾ [وهو فى الصحيحين أيضاً] . . والمال إذا بلغ النصاب وحال عليه الحول القمى الكامل وجب على الإنسان أن يخرج ربع العشر ويقوم ذلك تبعاً للفضة (٦٢٤ جرام) والأصناف التى تجب فيها الزكاة ومقدارها وكيفيةها موضحة فى كتب الفقه وليس غرضنا هنا التفصيل والإستقصاء وإنما لنبين مدى الفارق بين الإسلام وبين غيره من النظم وهذه الزكاة هى حق معلوم ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦٠] . ومن شأنها أن تطهر المال وتنمية وتشيع روح الأخوة والمحبة الإيمانية بين الغنى والفقير . ولا يصح إستبدالها بنظام الضرائب كالضرائب التصاعدية وضرائب التركات وغيرها من صور الظلم وإلا فمال الأغنياء لابد من صونه وعدم التطلع له وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال : ﴿ كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ﴾ رواه مسلم ويوم حجة الوداع قال : ﴿ ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمته يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا ألا هل بلغت قالوا نعم ﴾ [متفق عليه] . فإذا قامت حاجة

شرعية أو ضرورة مقتضية ولم تكف الزكاة لسدها لجائحة أو حرب أو مجاعة وخلا بيت المال من المال وتنازل الحاكم وأعوانه عما لديهم حينئذ يستوجب الحاكم أن يأخذ من مال الأغنياء أكثر من أموال الزكاة كما حدث في عهد السلطان بيبرس وقطر ويوسف بن تاشفين وأفتى بهذا النووي والعز بن عبد السلام وعبد الله بن الفراء .

وبعد أن جربت الأمة النظم الإشتراكية والرأسمالية فانتقلت من نكبة إلى أخرى لن نقول لها جرى الإسلام ولكن نقول ﴿ وَأَيُّبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ﴾ [الزمر : ٥٤] . واستقيموا على شرع ربكم ففيه الأمن والأمان والراحة والأطمئنان وإذا كان رأس المال كما يقولون جبان لا يطمئن إلا بالأمان والقضاء على مشرى القلائل . فلا أقوى من حكم الله ورسوله ورقابة الإسلام أقوى من رقابة البوليس وأجهزة الأمن وتحصين المال إنما يكون بالزكاة وليس بدفع أقساط شركات التأمين والربا الذى يتعامل به الأفراد والحكومات لا يمكن أبداً أن يسب رخاءاً وعمراناً ولا أن يتقوى به الاقتصاد ورب العزة جل وعلا يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٩] . ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرْبِي الصَّدَاقَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٧٦] . ولا طاقة لأحد بحرب الله وأى فلاح يحدث لمن آذنه رب العزة جل وعلا بالحرب والواقع خير شاهد على ذلك فالأطمئنان والأمان لا يحدثان إلا بالرجوع لدين الله سياسة واقتصاداً خلقاً واجتماعاً ، حرباً وسلماً ، أفراداً وجماعات فنحل ما أحل الله ونحرم ما حرم الله عز وجل وندور مع إسلامنا حيث دار وإذا كان الربا ثمانين باباً أيسرها مثل أن ينكح الإنسان أمه فالواجب علينا أن ننهى عنه تعظيماً لحرمات الله وتحقيقاً للسعادة التى نشدها فى الدنيا والآخرة بعكس العود والخيالات فى الأنظمة الكفرية التى تتبدد كالسراب الذى ينخدع به العطش والظلمى ولا حقيقة له إلا الضياع والنكد .

حكم الإنضمام للأحزاب وبدعة تقسيم الناس إلى مؤيدين ومعارضين

يقول تعالى ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] . ويقول سبحانه ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] . فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ويقول سبحانه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] . ومعلوم أن الحق واحد لا يتعدد وأن الباطل كثير لا ينحصر فالواجب على الإنسان أن يعيش بالإسلام وللإسلام وأن يصدع بالحق ولا يخاف لومة لائم وإذا كانت سنة الله قد اقتضت دفعا بين الحق وبين الباطل ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥] . فالواجب علينا أن نستن بسنة رسول الله ﷺ في إقدامنا وإحجامنا وفي حركاتنا وسكناتنا وفي أقوالنا وأفعالنا وعلينا أن نستبشر فالعاقبة للمتقين والنصر عقبى الصابرين الذين يأخذون بالأسباب الشرعية ويستفرغون وسعهم فيها ويفوضون الأمر كله لله . والفارق كبير بين المسلم والكافر فالمسلم يحب في الله ويبغض في الله ويعطى الله ويمنع الله أما الكافر فإنه يحب لهواه ويبغض لهواه هو مولاه الذي يقوده إلى حتفه وهلاكه . وإذا كانت النظم الديمقراطية عادة تأخذ بنظام تعدد الأحزاب وكل حزب له برنامجه المعبر عنه وله أيضاً رأيه ومن يمثله فهذه الأحزاب منها ما هو شيوعي ماركسي ومنها ما هو وطني ومنها ما هو ليبرالي علماني وكثيراً ما نرى الصراع يحدث ليس فقط بين الأحزاب الموجودة على الساحة بل بين أبناء الحزب الواحد لأسباب عديدة وتنتهي هذه الصراعات بحروب في أغلب الأحيان في أخف أحوالها حروب كلامية وإعلامية وشأنهم في ذلك كشأن اليهود والنصارى وفي ذلك يقول تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ، كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ١١٣] . إختلاف مريب ولا يمكن أن يجتمع الناس إجتماعاً صحيحاً يرضى الله إلا اذا صبغوا بصبغة الإسلام

يقول تعالى ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢١٣] . وهؤلاء الأنبياء دينهم واحد ودعوتهم واحدة و ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] . ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] . ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَلَّوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] . وهذه الأحزاب بدعة منكرة وهى أثر من آثار الإستعمار أحدثها المستعمرون ليفرقوا بين ابناء الأمة الواحدة وليجعلوا أبناء الوطن الواحد شيعاً وأحزاباً بعد ذلك ، نعم وجدت الشورى وحدث نوع من الإستيضاح أو الاعتراض حتى على بعض الحلفاء فى حالة مخالفة النصوص الشرعية كما اعترضت — فيما روى — المرأة على عمر بن الخطاب حين أراد تحديد المهور . ولكن هل سمح بقيام أحزاب بمناهج تخالف دين الله وتكفر به بزعم حرية الرأى والتعبير تنشر وتروج المبادئ التى تدين بها فى وسط المسلمين هذا لم يحدث أبداً وقد رأينا الثار المرة لهذه الأحزاب من تفريق للناس وتنابد وتراشق بالتهم فى الجرائد والمجلات كما هو حاصل مشاهد فالانضمام الى حزب من هذه الأحزاب هو فى نفسه بدعة لا يقرها الشرع فكيف إذا انضم مع ذلك عدم تمسك رؤساء الحزب بالدين واتخاذهم الدين طريفاً لنيل أغراضهم ومطلوبهم ولاشك أن من يمشى فى ركاب هؤلاء ويهتف بجياهم ويضحى بنفسه وماله فى سبيل حزبهم يصدق عليه أنه باع آخرته بدنياه غيره يقول النبى ﷺ ﴿ من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبته أو يدعو الى عصبته أو ينصر عصبته فقتل فقتله جاهلية ﴾ رواه مسلم . ولما سئل النبى ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله فقال : ﴿ من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ﴾ رواه مسلم . ارتفعت رايات كثيرة مارقة للتكتل تحتها بدل راية الإسلام وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون والدين لا يعرف مثل هذه الأحزاب وإنما يأمرنا إذا أهدق الخطر بنا ان نتعاضد ونتعاون وتقوم قومة رجل واحد للدفاع عن ديننا الذى لا حياة للأمم والأفراد بدونه وما سوى ذلك فهو مراد باطل ضرره اكثر من نفعه بل لا نفع فيه عند التحقيق والناظر الى الدنيا من حولنا سيجد

كتلاً شرقية وغربية وقوميات وشعوبيات ووطنيات ثم مناهج وفلسفات بين أبناء الوطن الواحد ثم تجاه الحاکم ومنهجه ينقسمون إلى مؤيدين ومعارضين وهذه الحالة لا بد وأن تشحذ همم المؤمنین الذين يستعينون برهم ليجاهدوا بدين الله من كفر بالله يدعون الإنسانية كافة لتسلم وجهها لله رب العالمين ويقومونها خلافة على منهاج النبوة تطبق دين الله وتسوس الدنيا به ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢٧] . ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] . وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ المسلمون تتكافأ دمائهم ويسعى بدمتهم أذنهم وهم يد على من سواهم ﴾ أبى الإسلام لا أبأ لى سواه . . . إذا اقتخروا بقرىس أو تميم والحب يجب ان يكون فى الله والبغض كذلك يقول الرسول ﷺ ﴿ أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله ﴾ [رواه ابن شيه وحسنه الألبانى] . والحق مقبول من كل من جاء به كائناً من كان ، والباطل مردود على صاحبه أيضاً كائناً من كان . وكل أبى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون وليس منا معصوم ولا كامل ولا بد من مراعاة أدب الخلاف والخلاف الذى يصادم نصاً من كتاب أو سنة خلاف ساقط وغير معتبر والميزان الذى توزن به الأقوال والأفعال ونميز به بين الغث والسمين هو ميزان الكتاب والسنة والحاکم الذى يطبق شرع الله إذا اخطأ فى مسألة أو جانب الحق فى فعل لا يصح الخروج عليه ولا تأليب العامة وإحداث الفتنة حوله ويقول النبى ﷺ ﴿ سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام فأمره ونهاه فى ذات الله فقتله ﴾ وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ فالواجب علينا جميعاً أن نرجع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابه الكرام وكل خير فى اتباع من سلف وكل شر من ابتداء من خلف ومالم يكن يومئذ ديناً فليس باليوم ديناً ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها . يسعنا ما وسعهم من الخلاف وتتوحد كلمتنا على منهج الله وحينئذ سنأخذ بأسباب التطور الحقيقية من العلم النافع والعمل الصالح ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] . وحينئذ أيضاً سنعرف بإذن الله من الذى نواليه ومن الذى نعاديه من الذى تؤيده ومن الذى نعاضه يقول

أَبْنِ تَيْمِيَةَ « وَالْمُؤْمِنُ عَلَيْهِ أَنْ يِعَادِيَ فِي اللَّهِ وَيُوَالِيَ فِي اللَّهِ فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ مُؤْمِنٌ فَعَلَيْهِ أَنْ
يُوَالِيَهُ وَإِنْ ظَلَمَهُ فَإِنَّ الظُّلْمَ لَا يَقْطَعُ الْمَوَالَاةَ الْإِيمَانِيَّةَ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي
حَتَّى تَقِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الْحَجْرَات : ٩] . الْآيَةُ فَجَعَلَهُمْ أَخْوَةَ مَعَ وَجُودِ الْقِتَالِ
وَالْبَغْيِ وَالْأَمْرَ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ فَلْيَتَدَبَّرِ الْمُؤْمِنُ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ فَمَا أَكْثَرَ مَا
يَلْتَبِسُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْمُؤْمِنَ تَجِبُ مَوَالَاتُهُ وَإِنْ ظَلَمَكَ وَاعْتَدَى عَلَيْكَ
وَالْكَافِرَ يَجِبُ مَعَادَتُهُ وَإِنْ أَعْطَاكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعَثَ الرَّسُلَ
وَأَنْزَلَ الْكُتُبَ لِيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ فَيَكُونُ الْحُبُّ لِأَوْلِيَائِهِ وَالْبُغْضُ لِأَعْدَائِهِ وَالْإِكْرَامُ
لِأَوْلِيَائِهِ وَالْإِهَانَةُ لِأَعْدَائِهِ وَالثَّوَابُ لِأَوْلِيَائِهِ وَالْعِقَابُ لِأَعْدَائِهِ . ١ . هـ .

بماذا نحكم على من ينادى بالديمقراطية ؟

وقد اتضح لنا أن الإسلام شيء والديمقراطية شيء آخر وظهر لنا مدى انحرافها عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وخطر المناذاة بها فبماذا نحكم على من يتكلم بالديمقراطية ؟ والإجابة على هذا السؤال تكمن في معرفة الحكم الشرعى ومعرفة معنى الكلمة وحالة من ينادى بها ثم تطبيق الحكم على الواقع المساوى له وكما يقول العلماء الحكم على الشيء فرع عن تصوره . وإذا كانت الكلمة يونانية والمبادئ التى تنطوى تحتها كفرية وثنية والشرك شيء واحد تتفق صوره فى أنها قصد لغير الله فى التوجه والطلب والتشريع والتعظيم والتقدیس وهذه معانٍ متحققة فى كلمة الديمقراطية إلا أن المتكلمين والمنادين بها يتفاوتون تفاوتاً عظيماً فيما بينهم فمنهم الذى يرددها بلسانه وهو يصلى ويصوم وينادى بتطبيق حكم الله فى كل مجالات الحياة — ومنهم من ينطق ويردد كالبيغاوات ويظن أنه يحسن الصنع لكونه أحسن التلفظ والنطق بها — ومنهم من يرى أنه يسدى جميلاً ويقدم خدمة للإسلام عندما ينادى بالديمقراطية الإسلامية — ومن هؤلاء من يظن أن الديمقراطية هى الشورى الإسلامية — وكل هؤلاء جهال بحقيقة هذه الكلمة وما تنطوى عليه ومن المنادين بها من هو من عتاة المجرمين والملحدین فكيف يأخذون حكماً واحداً وأحوالهم على هذا النحو من الاختلاف ، ونحن حين نقول عن الديمقراطية هى منهج وثنى كفرى فليس معنى ذلك أن نكفر كل من نادى بها فقد يكون القول كفوفاً ويطلق القول بتكفير قائله أما الشخص المعين فلا يكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالية عليه وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع وحتى تنتفى الشبهات وتدرأ المعاذير ويحیی من حیى عن بينة ، يقول النووى فى شرحه لصحيح مسلم ج (١) ص ١٥٠ « أعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنوب ولا يكفر أهل الأهواء والبدع (كالخوارج و المعتزلة والرافضة وغيرهم) وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم برده وكفره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ونحوه ممن يخفى عليه ، فيعرف ذلك فإن استمر حكم بكفره ، وكذلك من

فان استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة» ونقل السيد صديق حسن كان في «الروضة الندية» ما قاله الإمام الشوكاني في كتابه «السييل الجرار» اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية عن طريق جماعة من الصحابة أن «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما» هكذا في الصحيح وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما «من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه» أي رجع وفي لفظ في الصحيح فقد كفر أحدهما ففى هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن الإسراع في التكفير وقد قال عز وجل ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]. فلا بد من شرح الصدر بالكفر وطمأنينة القلب به وسكون النفس إليه فلا إعتبار بما يقع من طوارق عقائد الشرك لاسيما مع الجهل بمخالفتها لطريقة الإسلام ولا اعتبار بصدور فعل كفى لم يرد به فاعله الخروج عن الإسلام إلى ملة الكفر ولا إعتبار بلفظ يلفظ به المسلم يدل على الكفر ولا يعتد معناه «١. هـ. وعلينا أن نسعى في توصيل الحق إلى الخلق دون تنفير الناس وأن نواصل النهار بالليل في ذلك، لا ندخر وسعاً ولا يصح إعطاء الدعوة الفتات من أوقانتنا في وقت يموج بعشرات الفلسفات والمناهج الخربة يحملها أهلها ويبدلون الغالى والرخيص والنفس والنفيس في سبيل إبلاغها ولابد من التعرف على الواقع والشبهات التي ورثها الناس جيلاً بعد جيل بفعل وساوس الشياطين وأعداء الإسلام والناس وإن كانوا قد ورثوا الإسلام إلا أنهم جهلوا معانيه والوقت الذي نعيش فيه وقت غربة وجهالة انتقلت من عوام الناس إلى بعض من ينتسب للعلم الشرعى فلا يصح التسرع في إطلاق أحكام التكفير على عواهنها ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ۙ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]. فنعرف الحق ونرحم الخلق وإذا كان القطار يسير بأقصى سرعة فلا يليق بنا أن نجلس على مقاعد المتفرجين في وقت يسابق الريح وقد شرفنا رب العزة جل وعلا بالإنتساب لدينه وبصرنا بالواجب والحق الذى خلقنا من أجله . ونسأله سبحانه التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل .

نماذج للناس وكلمات مأثورات

— أبو بكر الصديق رضی الله عنه :

عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما ولي أبو بكر خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « أما بعد أيها الناس ، قد وليت عليكم ولست بخيركم ولكن قد نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن فعلمنا ، اعلموا أن أكيس الكيس التقوى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، إن أقوامك عندي الضعيف حتى آخذ له حقه وإن أضعفكم عندي القوى حتى آخذ منه الحق أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوموني » وعن عبد الله بن حكيم قال : خطبنا أبو بكر فقال : أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تتنوا عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة . إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٩٠] . اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك موافيقكم واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي وهذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه ولا يطفأ نوره ، فصدقوا قوله وانتصحو كتابه واستضيئوا منه ليوم القيامة وإنما خلقكم لعبادته ووكّل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون ، ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم أن تنقضى الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضى آجالكم فتردكم إلى سوء أعمالكم فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فأنهائم أن تكونوا أمثالهم ، الوحا الوحا (أى السرعة السرعة) النجاء النجاء إن وراءكم طالباً حثيثاً مرة سريع .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط قال : « لما حضر أبا بكر الصديق الموت دعا عمر فقال له : « اتق الله يا عمر وأعلم أن الله عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدي فريضته ، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان

يوضع فيه الحقُ غداً أن يكون ثقيلاً وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة
باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون
خفيفاً وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئه فإذا
ذكرتهم قلت : إني لأخاف أن لا ألحق بهم . وإن الله تعالى ذكر أهل النار فذكرهم
بأسوأ أعمالهم ورد عليهم أحسنه فإذا ذكرتهم قلت إني لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء
ليكون العبد راغباً راهباً لا يتمنى على الله ولا يقنط من رحمة الله . فإن أنت حفظت
وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإن انت ضيعت وصيتي
فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست تعجزه — وعن عائشة قالت : لما
مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال : انظروا ماذا زاد في مالي منذ دخلت في
الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة من بعدى . فنظرنا فإذا عبد نوبى كان يحمل صبيانه وإذا
ناضح (بعير) كان يسقى بستاناً له . فبعثنا بهما إلى عمر . قالت : فأخبرني
جدى أن عمر بكى وقال : رحمة الله على أبنى بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

عن الأوزاعي ، أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب
عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى البيت ذلك فإذا
عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدني
منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عنى الأذى . قال طلحة : ثكلتك أمك
طلحة أعثرات عمر تتبع ؟

وعن ابن عمر قال : قدمت رفقة من التجار فنزلوا المصلى فقال عمر لعبد
الرحمن : هل لك أن تحرسهم الليلة من السرقة ؟ فباتا يجرسانهم ويصليان ما كتب
الله لهما فسمع عمر بكاء صبي فتوجه نحوه فقال لأمه : اتقى الله وأحسنى إلى
صبيك ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك ثم عاد إلى
مكانه فلما كان من آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال لها ويحك إني لأراك إلا سوء
مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ؟ قالت : يا عبد الله قد ابرمتنى . منذ الليلة إني أريغه
عن الفطام فيأبى قال ولم ؟ فقالت : لأن عمر لا يفرض إلا للفطم قال ولم له ؟ قالت

كذا وكذا شهراً قال : ويحك لا تعجله . فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء فلما سلم قال يا بؤساً لعمر ، كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر منادياً فنادى أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإننا نفرض لكل مولود في الإسلام وكتب بذلك إلى الآفاق أن يُفرض لكل مولود في الإسلام . وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال : كان عمر يصوم الدهر وكان زمان الرمادة (سنة جذب وقحط) إذا أمسى أتى بخبز قد ثرد في الزيت إلى أن نحروا يوماً من الأيام جزوراً فأطعمهما الناس وغرفوا له طيبها فأتى به فإذا قدر من سنام ومن كبدة فقال أنى هذا ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين من الجزور التي نحروا اليوم قال : بخ بخ (استعملت هنا على سبيل الإستهزاء والتهمك) بمس الوالى أنا إن أكلت أطيبها وأطعمت الناس كراديسها (رؤوس العظام) ارفع هذه الجفنة هات لنا غير هذا الطعام ، فأتى بخبز وزيت فجعل بيده ويثر ذلك الخبز ثم قال : ويحك يا يرفأ (هو مولى عمر) ارفع هذه الجفنة حتى تأتى بها أهل بيت بشمع (موضع تلقاء المدينة) فانى لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين (خالين من الطعام) فضعها بين أيديهم . عن عبد الله بن عمر قال : كان عمر بن الخطاب يقول: لو مات جدى بطف الفرات لخشيت أن يحاسب الله به عمر — عن ثابت بن الحجاج قال : عمر حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم فى الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم تزينوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ . وعن وديعة الأنصارى قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول وهو يعظ رجلاً : لا تكلم فيما لا يعينك واعرف عدوك واحذر صديقك إلا الأمين والأمين إلا من يخشى الله ولا تمش مع الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على شرك ولا تشاور فى أمرك إلا الذين يخشون الله عز وجل .

عثمان بن عفان رضى الله عنه :

عن ابن عمر قال : كنا نخير (نفاضل) بين الناس فى زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان — انفراد باخراجه البخارى — وعن عبد الله قال : حين استُخلف عثمان : استخلفنا خير من بقى ولم نأله (لم

نقصر في ذلك) — وعن ابن عمر ﴿ أَمِنْ هُوَ قَانِتٌ اِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يُحَذِّرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [الزمر : ٩١] . قال هو عثمان بن عفان وقد صح عن عمر أنه جعله في أهل الشورى وشهد له أن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض وقد صح عن ابى بكر الصديق أنه أملى على عثمان وصيتين عند موته فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أغمى عليه — فكتب عثمان : « عمر » فلما أفاق قال : من كتب ؟ قال عمر فقال : لو كتبت نفسك لكنت لها أهلاً ... وعن يونس أن الحسن سئل عن القائلين (الإستراحة وقت نصف النهار) في المسجد فقال رأيت عثمان بن عفان يقبل في المسجد وهو يومئذ خليفة ويقوم وأثر الحصى بجانبه قال : فنقول هذا أمير المؤمنين هذا أمير المؤمنين — رواه أحمد . وقال الحسن رأيت عثمان نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه فيجىء الرجل فيجلس إليه ثم يجىء الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم وعن سلمان بن موسى أن عثمان بن عفان دعى إلى قوم كانوا على أمر قبيح فخرج إليهم فوجدهم قد تفرقوا ، ورأى أمراً قبيحاً فحمد الله إذ لم يصادفهم وأعتق رقبة — وعن شرحبيل بن مسلم أن عثمان كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت . وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم حراء إذا اهتز الجبل فركضه (ضربه) بقدمه ثم قال : اسكن حراء وليس عليه إلا نبي أو صديق أو شهيد وأنا معه فانتشد (أى أجابوه) له رجال — قال : أنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان إذ بعثنى إلى المشركين من أهل مكة قال هذه يدي وهذه يد عثمان فبايع فانتشد له رجال — قال : أنشد بالله من سمع رسول الله ﷺ قال : من يوسع لنا بهذا البيت في المسجد بيت له في الجنة فاتبعته من مالى فوسعت به المسجد فانتشد له رجال قال : وأنشد بالله من شهد رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة قال : من ينفق اليوم نفقة متقبلة ؟ فجهزت نصف الجيش من مالى قال فانتشد له رجال قال : وأنشد بالله من شهد رومة (بحر بالمدينة لم يكن يشرب منها أحد إلا يشمن) يباع ماؤها ابن السبيل فاتبعته من مالى فأبجتها ابن السبيل فانتشد له رجال « رواه أحمد » . وعن ابن سيرين قال : قالت امرأة عثمان حين قتل عثمان قتلتموه وإنه ليحيى الليل كله بالقرآن — وعن مطرف قال : لقيت

علياً رضى الله عنه فقال لى : يا أبا عبد الله ما بطأ بك عنا ، أحب عثمان ؟ أما لئن قلت ذلك لقد كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرب تعالى .

على بن أبى طالب رضى الله عنه :

عن سعد بن أبى وقاص قال : خلف رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فى غزوة تبوك فقال : يا رسول الله تخلفنى فى النساء والصبيان ؟ فقال : ﴿ أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ غير أنه لا نبى بعدى ﴾ أخرجاه فى الصحيحين — وعن زر بن حُبَيْش قال قال على رضى الله عنه : والله إنه لما عهد إلى رسول الله ﷺ أنه قال : لا يُغضنى إلا منافق ولا يجنبنى إلا مؤمن « رواه مسلم .

وعن أبى صالح قال : قال معاوية بن أبى سفيان لضرار : صف لى علياً . فقال : أو تعفينى ؟ قال : بل صفه قال : أو تعفينى ؟ قال : لا أعفيك قال أما إذا فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ينفجر العلم من جوانبه وينطق بالحكمة من نواصيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشِب (الغليظ الخشن) كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويتدثنا إذا أتيناها ويأتينا إذا دعوانا ونحن والله مع تقيبه لنا وقربه منا لا نكلمه هية ولا نبتديه لعظمه فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا يبئس الضعيف من عدله وأشهد بالله لقد رأيت فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سُجوفه وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضاً على لحيته يتململ تملل السليم ويكى بكاء الحزين وكأنى أسمعوه وهو يقول : يادنيا أبى تعرضت أم لى تشوفت ؟ هيهات هيهات غرى غرى قد بتتك (طلقتك طلاقاً بائناً قاطعاً) ثلاثاً لا رجعة لى فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت دموع معاوية رضى الله عنه حتى خرت على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحمه الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزن من ذُبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها — وعن على بن الأقرم عن أبيه قال :

رأيت علياً رضي الله عنه وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول : من يشتري مني هذا السيف ؟ فوالذي خلق الحبة لطالما ما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته — وعن مهاجر بن عمير قال : قال علي بن أبي طالب « إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل : فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة إلا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ، وعن عبد الله بن عباس أنه قال ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتب به إلى علي بن أبي طالب فإنه كتب إلى « أما بعد فإن المرء يسوءه ما لم يكن ليدركه ويسره درك ما لم يكن ليفوته فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك وليكن أسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحاً وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً وليكن همتك فيما بعد الموت ، وعن زيد بن وهب قال قدم على علي قوم من أهل البصرة فقال الخوارج فيهم رجل يقال له الجعدين بحجة فقال له اتق الله يا علي فإنك ميت فقال له علي رضي الله عنه « بل مقتول » ضربة على هذا تخضب هذه — يعني لحيته من رأسه — عهد معهود وقضاء مقضى وقد خاب من افتري .

معاوية بين أبي سفيان رضي الله عنه :

قال ابن كثير في الهداية والنهاية « فأيام معاوية أول الملك فهو أول ملوك الإسلام وخيارهم » قال الطبراني وساق الحديث بإسناده عن معاذ بن جبل وأبي عبيدة قالوا قال رسول الله ﷺ ﴿ إن هذا الأمر بدأ رحمة ونبوة ثم يكون رحمة وخلافة ثم كائن ملكاً عضوضاً ثم كائن فتناً وجبرية وفساداً في الأرض ، يستحلون الحرير و الفروج والخمور ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل ﴾ إسناده جيد . هـ . وقد ورد عن معاوية بإسناده فيه ضعف وله شواهد من وجوه آخر — قال « والله ما حملني على الخلافة إلا قول رسول الله ﷺ لي » « يامعاوية إن ملكت فأحسن » وقد حدث ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ من أن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً وقد انقضت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي ومعاوية خال المؤمنين وكاتب وحى

رب العالمين أسلم هو وأبوه وأمه هند بنت عتبة يوم الفتح وقد روى عن معاوية أنه قال أسلمت يوم عمرة القضاء ولكنى كنتم إسلامي من أبي إلى يوم الفتح ولما فتحت الشام ولاه عمر نيابة دمشق بعد أخيه يزيد بن ابي سفيان وأقره على ذلك عثمان بن عفان وزاده بلاداً أخرى والواجب علينا أن نمسك عما حدث وشجر بين صحابة النبي ﷺ فهم خيار أولياء الله المتقين وكلهم عدول وكل صحابي أفضل من كل من جاء بعده ويكفيهم شرف الصحبة لرسول الله ﷺ وقد اجتهدوا رضوان الله عليهم في اقامة الحق والعدل منهم المصيب ومنهم المخطيء والمصيب له أجران والمخطيء له أجر ولا يصح التنقص من معاوية رضى الله عنه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال ﴿ أصحابي أصحابي لا تسبوا أصحابي فوالذي نفس محمد بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴾ [معناه في الصحيحين] . وكان أبو أيوب يقول : « إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من صحابة رسول الله ﷺ فاعلم أنهم أرادوا أن يجرحوا شهودنا ليعطلوا العمل بالكتاب والجرح بهم أولى وهم زنادقة » ولم يزد على بن أبي طالب رضى الله عنه على أن قال في خلافة معاوية « إخواننا بغوا علينا » وكان مع معاوية أناس ممن شهد بدرأ وكان الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم وكان معاوية هو ولى دم عثمان وقد طالب علياً بضرورة التعجل بالقصاص من قتلته فشابهه في ذلك موقف السيدة عائشة وطلحة والزبير وكان الحق والصواب مع على فرضى الله عنهم جميعاً ثم خلع الحسن نفسه من الخلافة بعد ذلك وسلم الملك إلى معاوية بن أبي سفيان وكان ذلك في ربيع الأول من هذه السنة — سنة احدى واربعين — ودخل معاوية الكوفة فخطب الناس بها خطبة بليغة بعدها بايعه الناس — واستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً وسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الكلمة فيه على أمير واحد بعد الفرقة . وقد كان معاوية بمثابة شمس سطعت بعد شمس أربعة ملكت الدنيا نوراً وضياءً فخفت ضوئها قليلاً بالمقارنة عمن سبقه من الخلفاء الراشدين ، وقد أصاب ابن القيم حين قال نحن في زمن لا يصلح أن يولى علينا فيه مثل معاوية بن ابي سفيان ولا عمر بن عبد العزيز فضلاً عن الشيخين أبي بكر وعمر — راجع كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي .

عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

عن سهل بن يحيى محمد المروزي قال : أخبرني أبي محمد عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز قال لما دفن عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع للأرض هذة أو رجة فقال ما هذه ؟ فقيل هذه مراكب الخلافة يا أمير المؤمنين قربت إليك لتركها فقال مالى ولها ؟ نحوها عنى قربوا إلى بغلته فقربت إليه بغلته فركبها فجاءه صاحب الشرط يسير بين يديه بالحربة فقال تنح عنى مالى ولك إنما أنا رجل من المسلمين فسار وسار معه الناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : يا أيها الناس انى قد ابتليت بهذا الأمر من غير رأى كان منى فيه ولا طلبة له ولا مشورة من المسلمين وإنى قد خلعت مافى أعناقكم من بيعتى فاختراروا لأنفسكم فصاح المسلمون صيحة واحدة قد اخترناك يا أمير المؤمنين ورضينا بك فول أمرنا باليمن والبركة فلما رأى الأصوات قد هدأت ورضى به الناس جميعاً حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقال : أوصيكم بتقوى الله فإن تقوى الله خلف من كل شىء ليس من تقوى الله عز وجل خلف فاعملوا لآخرتكم فإنه من عمل لآخرته كفاه الله تبارك وتعالى أمر دنياه وأصلحوا سرائركم يصلح الله الكريم علانيتكم وأكثروا ذكر الموت وأحسنوا الإستعداد قبل أن ينزل بكم فإنه هادم اللذات وإن من لا يذكر من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلام أبا حياً لمعرق فى الموت وإن هذه الأمة لم تختلف فى ربها عز وجل ولا فى نبيها ولا فى كتابها وإنما اختلفوا فى الدينار والدرهم وإنى والله لا أعطى أحداً باطلاً ولا أمنع أحداً حقاً ثم رفع صوته حتى أسمع الناس فقال : يا أيها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له أطيعونى ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم ثم نزل فدخل فأمر بالستور فهتكت والثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملت وأمر ببيعها وإدخال أثمانها فى بيت مال المسلمين ثم ذهب يتبوأ مقبلاً فأتاه ابنه عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين ماذا تريد أن تصنع ؟ قال أى بنى أقيل قال تقيل ولا ترد المظالم ؟ قال أى بنى إنى قد سهرت البارحة فى أمر عمك سليمان فإذا صليت الظهر رددت المظالم قال يا أمير المؤمنين من لك أن تعيش إلى الظهر ؟ قال إدن منى أى بنى فدنا منه والترمه وقبل بين عينيه وقال

الحمد لله الذى أخرج من صلبى من يعيننى على دينى فخرج ولم يقل وأمر مناديه أن ينادى ألا من كان له مظلمة فليرفعها فقام إليه رجل ذمى من أهل حمص أبيض الرأس واللحية فقال يا أمير المؤمنين أسألك كتاب الله قال وماذا؟ قال العباس بن الوليد بن عبد الملك اغتصبنى أرضى والعباس جالس فقال له يا عباس ما تقول؟ قال أقطعنيها أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وكتب لى بها سجلاً فقال عمر ما تقول يا ذمى؟ قال يا أمير المؤمنين أسألك بكتاب الله عز وجل فقال عمر كتاب الله أحق أن يتبع من كتاب الوليد بن عبد الملك قم فاردد عليه يا عباس ضيعته فرد عليه فجعل لا يدع شيئاً مما كان فى يده وفى يد أهل بيته من المظالم إلا ردها مظلمة مظلمة فلما بلغت الخوارج سيرة عمر وما ورد من المظالم اجتمعوا فقالوا: ما ينبغى لنا أن نقاتل هذا الرجل فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك فكتب إليه إنك قد أزريت على من كان قبلك من الخلفاء وعبت عليهم وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشنتنا لمن بعدهم من أولادهم قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش وموارثهم فأدخلتها فى بيت المال جوراً وعدواناً ولن تترك على هذا فلما قرأ كتابه كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم — من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين أما بعد فإنه بلغنى كتابك وسأجيبك بنحو منه أما أول شأنك ابن الوليد كما زعم فأملك بنانة أمة السكون كانت تطوف فى سوق حمص وتدخل وتدور فى حوانيتها ثم الله أعلم بها اشتراها ذبيان من قىء المسلمين.

فأهداها لأبيك فحملت بك فبئس المحمول وبئس المولود ثم نشأت فكنت جباراً عديداً تزعم أنى من الظالمين لما حرمتك وأهل بيتك فىء الله عز وجل الذى فيه حق القرابة والمساكين والأرامل وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعملك صبيهاً سفياً على جند المسلمين تحكم فيهم برأيتك ولم تكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده فويل لك وويل لأبيك ما أكثر خصماء كما يوم القيامة وكيف ينجو أبوك من خصمائه؟ وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف يسفك الدم الحرام ويأخذ المال الحرام وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من استعمل قرة بن شريك أعرابياً

جافياً على مصر أذن له في المعازف واللهو والشرب وإن اظلم منى وأترك لعهد الله من
جعل لعالية البربرية سهماً في خمس العرب فرويداً يابن بنانة فلو التقى حلقنا البطان
ورد الفىء إلى أهله لتفرغت لك ولأهل بيتك فوضعتم على المحجة البيضاء فطالما
تركتم الحق وأخذتم في بنيات الطريق ومن وراء هذا ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبته
وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل فإن لكل فيك حقاً والسلام علينا ولا ينال
سلام الله الظالمين .

علماء وأمرء

ذهب عبد الملك بن مروان يوماً لزيارة المدينة ودعى أبو حازم للقاءه فما كاد يراه حتى دار بينهما هذا الحوار الخليفة يا أبا حازم ما هذا الجفاء ؟ أبو حازم : أى جفاء رأيت منى يا أمير المؤمنين . الخليفة : وجوه الناس زارونى ولم تررنى . أبو حازم : ما عرفتنى قبل هذا ولا أنا رأيتك . الخليفة : يا أبا حازم مالنا نكره الموت . ابو حازم : لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة فتركهون الخروج من العمران إلى الخراب . الخليفة : صدقت ترى ماذا لنا عند الله غداً ؟ أبو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله تعرف مكانك غداً . الخليفة : وأين أجده فى كتاب الله ؟ ابو حازم : عند قوله ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار : ١٤] . الخليفة فأين رحمة الله إذن — أبو حازم : قريب من المحسنين — الخليفة : وكيف لنا أن نصلح أنفسنا — أبو حازم : تتركون الصلف وتمسكون بالمرءة وتقسمون بالسوية وتعطلون بين الناس وتأخذون المال بحقه وتضعونه فى حقه . الخليفة : يا أبا حازم ألا تصحبنا فننتفع بك وتنتفع بنا . أبو حازم : لا — الخليفة ولم ؟ أبو حازم : إني أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا أجد لى منه نصيراً . الخليفة : إذن فارفع إلىى حاجتك أقضها لك . أبو حازم : تدخلنى الجنة وتحرم علىى النار . الخليفة : ليس ذلك لغير الله . أبو حازم : وليس لى حاجة سواها . الخليفة يا أبا حازم ما رأيك فينا . أبو حازم : أن تعفينى من هذا السؤال . الخليفة : إنها نصيحة تلقمها إلينا . أبو حازم : إن آباءك اغتصبوا هذا الأمر من الناس اخذوه عنوة بالسيف من غير شورة ولا اختيار وقد قتلوا من أجله خلقاً كثيراً وبعد حين رحلوا فلو تدرى مصيرهم عند الله وضاق البعض أو تظاهر بالضيق فقال أحدهم لأبى حازم بئس ما تخاطب به الخليفة فلفحه أبو حازم بصوت غضوب كدبت أن الله أخذ على العلماء ميثاقه ليبين للناس أمره ولا يكتمونوه وعاد الخليفة يسأله النصح يا أبا حازم أوصنى — أبو حازم نعم سأوصيك وأوجز نزه الله وعظمه حيث لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك — وينهض أبو حازم ذاهباً ويتناول

الخليفة صرة متنفخة بالدنانير وقال لأبي حازم على استحياء ألا تقبل منا هذه ونظر لها أبو حازم بإشتمزاز وقال « والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسى ولما دخل الإمام سعيد بن جبير رحمه الله على الحجاج بن يوسف الثقفى ابتدره الحجاج قائلاً ما اسمك . سعيد : سعيد بن جبير — الحجاج بل شقى بن كسير — سعيد : بل كانت أمى أعلم بإسمى منك — الحجاج : شقيت وشقيت أمك . سعيد : الغيب يعلمه غيرك . الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تظلى — سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك لا تأخذتك إلهاً . الحجاج : الويل لك يا سعيد . سعيد : بل الويل لمن زحزح من الجنة وأدخل النار — الحجاج : اختر لنفسك نوع القتلة التى تريد أن تقتل بها يا سعيد بل اختر أنت يا حجاج فوالله لا تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة — وخرجوا به فضحك سعيد . فأرجعوه وسأله الحجاج عن سبب ضحكك فقال سعيد : عجبت من جراتك على الله وحلم الله عنك — فوجهوه للقبلة لقتله فقال ﴿ وَجْهَتْ وَجْهَى لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ١٧٩] . فحوله لغير القبلة فقال سعيد ﴿ وَاللَّهِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] . فبسطوه على وجهه فقال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [طن : ٥٥] . ثم قتلوه وهو يدعو على الحجاج ويقول اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى . فمات بعدها الحجاج بأيام وهو يقول مالى ولسعيد بن جبير . مالى ولسعيد بن جبير .

كان سعيد بن المسيب يقول « لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكى لا تحبط أعمالكم » .

وسئل الإمام مالك عن الخارجين على الحكام ايجوز قتالهم فقال نعم إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز قالوا فإن لم يكونوا مثله قال دعهم ينتقم من ظالم لظالم ثم ينتقم من كليهما .

ومن أقوال الإمام أحمد رحمه الله « إذا أجب العالم تقية والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق » .

ولما أدخل الإمام أبو حنيفة السجن وضرب بالسياط بين أيدي أبى جعفر المنصور

وكانت أمه تزوره وفي يوم قالت له « يا نعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه فأجابها يا أمه لو أردت الدنيا لوصلت إليها ولكني أردت أن يعلم الله أني صنت العلم ولم أعرض نفسي فيه للهلكة .

ويذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية حين ورد الأمر بسجنه في قلعة دمشق أظهر السرور وقال : « انى كنت منتظراً ذلك وهذا فيه خير عظيم — ما يصنع أعدائى بى أنا جنتى وبستانى فى صدرى أينما رحمت فهى معى لا تفارقنى أنا حبسى خلوة وقتلى شهادة وإخراجى من بلدى سياحة — ولما رأى أسوار السجن قال : فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . وحبس معه ابن القيم فقال له مرة المحبوس من حبس قلبه عن ربه والمأسور من أسره هواه ويقول ابن القيم وسمعتة يقول فى سجوده وهو محبوس اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

وقد ألف الإمام السرخسى كتابه المبسوط فى الفقه فى ثلاثين مجلداً وهو محبوس فى الحب — وكان سبب الحبس كلمة نصح بها الخاقان — وقد أملى المبسوط على تلاميذه أعلى الحب وقال عند فراغه من شرح العبادات هذا آخر شرح العبادات بأوضح المعانى وأوجز العبارات أملاه المحبوس عن الجمع والجماعات . وقال آخر شرح الإقرار انتهى شرح الإقرار المشتمل من المعانى على ما هو من الأسرار بإملاء المحبوس فى مجلس الأشرار . ولما وصل إلى باب الشروط حصل له الفرج . وللسرخسى كتاب فى أصول الفقه وشرح السير الكبير أملاه وهو فى الحب .

وكان العز بن عبد السلام رحمه الله يقول : « من آثر الله على نفسه أثره الله والمخاطرة بالنفوس مشروعة فى إعزاز الدين ولما طلع العز يوماً إلى السلطان أيوب فى يوم عيد بالقلعة فشهد العسكر مصطفين بين يديه فالتفت إليه الشيخ وناداه يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك أم أبوىء لك ملك مصر وأنت تبيع الخمر فقال هل جرى هذا قال نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمر وأنت تتقلب فى نعمة هذه المملكة — فلما رجع العز سأله الباجى كيف قلت للسلطان هذا فقال له الإمام العز رحمه الله استحضرت رهبة الله فكان فى عيني مثل القط .

ويأتى أبو سعيد يوماً للإمام أحمد وهو في محنته يقول له يا امام قلها فإن لك عيالاً (أى وافق الخليفة فيما يطلب) فيقول له الإمام أحمد أنظر من الشرفة فنظر أبو سعيد ووجد خلقاً كثيراً قد اجتمعوا لكتابة ما يقوله الإمام أحمد فرجع له تلميذه يصف له المشهد فقال له : إمام أهل السنة ما كان لي أن أنجو بنفسى وأضل هؤلاء — ولما قيل له يوماً يا إمام أنت وحدك على حق وهؤلاء على الباطل قال ويحك أتعرف الحق بالرجال أعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من آتاه .

وإبلاغ الحق والوقوف في وجه الباطل صورة مكرورة فقد جاء المهلب بن أبي صفرة لمالك بن دينار يوماً فقال له ألا تعرفنى فأجابه مالك بن دينار بلى أعرفك حق المعرفة فيسأله المهلب وماذا تعرف عنى فيجيبه مالك « أما أولك فنظفة مذرة وأما آخرك فجيقة قدرة وأنت بين أولك وآخرك تحمل العذرة — ولاشك انها حقيقة تعينه على تواضع كريم .

ويتصدى طاووس لواحد من هؤلاء وأخذت ابنة عليه خيفة فاقترب منه وهمس في أذنه يخبره أن هذا الذى أمامه حاكم خراسان فقال طاووس لابنه إني أعرفه وإنما ألقنه هذه الكلمات ليعلم أن لله عبادة لا يعباون بما في أيديهم من دنيا وسلطان وأن سلطانهم بغير تقوى الله لا يزيدهم في أعيننا إلا هواناً .

وكان أبو مسلم الخولاني يقول « لا يصلح الناس إلا بإمام ولا يصلح الإمام إلا بالناس فكما تكونوا يول عليكم » .

وجاء أحد الحكام لمالك بن دينار يقول له ادع الله لى فأجابه مالك « وكم من مظلوم بالباب يدعو عليك — وسأله آخر الدعاء فقال كيف أدعو لكم وألف يدعون عليكم أيستجاب لواحد ولا يستجاب لألف . ويأتى آخر تراوغه ذبابة فيتوجه إلى جعفر الصادق بسؤاله « يا أبا عبد الله لماذا خلق الله الذباب فيجيبه جعفر ليذل به الجبارة » .

وبعث أبو حازم (سلمة بن دينار) للزهري (وكان بينه وبين عبد الملك بن مروان مودة وكان يزوره ويحضر مجالسه) « عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن ورحمك من

النار فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحك منها — لقد أثقلتك نعم الله عليك بما أصح من بدنك وأطال من عمرك وفقهك في دينه — أعلم أبا بكر أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقتك أنك آنتست الظالم وسهّلت له طريق الغنى بدنوك منه حين أدنيت وإجابتك له حين دعيت لقد جعلوك قطباً تدور رحي باطلهم عليك وجسراً يعبرون عليه إلى ضلالاتهم وعلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب العامة إليهم وما تبلغ من نفوسهم مكانة أخص وزرائهم وأقوى أعوانهم إلا بقدر ما تروج لفسادهم وتسوق الخاصة والعامة إليهم فما أهون ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أقل ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك .

وبعد فأين هؤلاء العلماء الأفاضل رحمهم الله من أناس يصدق عليهم قول المنصور « كلكم يمشى رويداً كلكم يطلب صيداً » وينطبق عليهم قول ابن المبارك رحمه الله حين قال رأيت الذنوب تميمت القلوب ... وقد يورث الذل إدمانها — وترك الذنوب حياة القلوب ... وخير لنفسك عصيانها — وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها . فشبه علماء السوء من هذه الأمة بالأحبار والرهبان الذين باعوا دينهم بثمان بخس وكانوا فيه من الزاهدين فأحلوا ما حرم الله وحرّموا ما أحل الله عز وجل وكانوا بمثابة قطاع الطريق إلى الله تنكبتم سبيل أسلافكم حين أحقوا الحق وأبطلوا الباطل فوضع الله في قلوب الناس هيبتهم لأن من خاف الله خافه كل شيء فكانوا بذلك أجل من الملوك جلالة وكانت إشارتهم للحكام أمراً وطاعتهم عليهم فرضاً . أورثهم الفقر عزة في نفوسهم فلم يكونوا يهابون أحداً من أبناء الدنيا ولم يميلوا إليها حتى يتزلفوا إليهم من أجلها كسروا قيدها وتخلصوا من رقها وهانت عليهم وهان أهلها . ولسان حال علماء الأمة المعتبرين يقول إنهم زهدوا في الدنيا فجاءتهم الدنيا وأعرضوا عنها فأقبلت عليهم وهابوا الله فهابهم الناس . فالله الله في أنفسكم ودينكم وأمتكم ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨١] .

قرار مجلس الجمع الفقهي

هذا وقد تعرض مجلس الجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي والمنعقد بمكة المكرمة لأمر الديمقراطية في القرار الثاني وذلك أثناء الحديث عن حكم الشيوعية والانتماء إليها محذرين منها وموضحين كيف أن الباطل والكفر يتزيا بأزياء كثيرة ويستخدم أحياناً ألفاظاً براقاً ينخدع بزخرفها من لا بصر عنده ولا بصيرة ، وهذا هو نص القرار « القرار الثاني - حكم الشيوعية والانتماء إليها ص ٣٣ - ٣٦ - الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . . وبعد : فإن مجلس الجمع الفقهي درس فيما درسه من أمور خطيرة (موضوع الشيوعية والإشترابية) وما يتعرض له العالم الإسلامي من مشكلات الغزو الفكري على صعيد كيان الدول وعلى صعيد نشأة الأفراد وعقائدهم وما تتعرض له تلك الدول والشعوب معاً من أخطار تترتب على عدم التنبيه الى مخاطر هذا الغزو الخطير . ولقد رأى الجمع الفقهي أن كثيراً من الدول في العالم الإسلامي تعاني فراغاً فكرياً وعقائدياً خاصة أن هذه الأفكار والعقائد المستوردة قد أعدت بطريقة نفذت إلى المجتمعات الإسلامية وأحدثت فيها خللاً في العقائد والخللاً في التفكير والسلوك و تحطيماً للقيم الإنسانية وزعزعة لكل مقومات الخير في المجتمع وإنه لبيدوا واضحاً جلياً أن الدول الكبرى على اختلاف نظمها واتجاهها قد حاولت جاهدة تمزيق شمل كل دولة تنتسب للإسلام عداوة له وخوفاً من امتداده ويقظة أهله - لذا ركزت جميع الدول المعادية للإسلام على أمرين مهمين هما العقائد والأخلاق . ففي ميدان العقائد شجعت كل من يعتنق المبدأ الشيوعي المعبر عنه مبدئياً عند كثيرين بالإشترابية فجندت له الإذاعات والصحف والدعايات البراقة والكتاب المأجورين وسمته حيناً بالحرية وحيناً بالتقدمية وحيناً بالديمقراطية وغير ذلك من الألفاظ وسمت كل ما يصاد ذلك من إصلاحات ومحافظات على القيم والمثل السامية والتعاليم الإسلامية رجعية وتأخراً وانتهازية ونحو ذلك وفي ميدان الأخلاق دعت إلى الإباحية واختلاط الجنسين وسمت ذلك أيضاً تقدماً وحرية فهي تعرف تمام المعرفة أنها متى قضت على الدين والأخلاق فقد تمكنت من السيطرة الفكرية والمادية والسياسية وإذا تم ذلك لها تمكنت من السيطرة التامة على جميع مقومات الخير

والإصلاح وصرفتها كما تشاء فانبثق عن ذلك الصراع الفكرى والعقائدى والسياسى وقامت بتقوية الجانب الموال لها وأمدته بالمال والسلاح والدعاية حتى يتمركز فى مجتمعه ويسيطر على الحكم ثم لا تسأل عما يحدث بعد ذلك من تفتيل وتشريد وكبت للحريات وسجن لكل ذى دين أو خلق قويم ولهذا لما كان الغزو الشيعوى قد اجتاح دولاً إسلامية لم تتحصن بمقوماتها الدينية والأخلاقية تجاهه وكان على المجمع الفقهى فى حدود اختصاصه العلمى والدينى أن ينبه الى المخاطر التى تترتب على هذا الغزو الفكرى والعقائدى والسياسى الخطير الذى يتم بمختلف الوسائل الإعلامية والعسكرية وغيرها فإن مجلس المجمع الفقهى الإسلامى المنعقد فى مكة المكرمة يقرر ما يلى :

يرى مجلس المجمع لفت نظر دول وشعوب العالم الإسلامى إلى أنه من المسلم به يقيناً أن الشيوعية منافية للإسلام وأن اعتناقها كفر بالدين الذى ارتضاه الله لعباده وهى هدم للمثل الإنسانية والقيم الأخلاقية وانحلال للمجتمعات البشرية والشريعة الإسلامية المحمدية هى خاتمة الأديان السماوية وقد انزلت من لدن حكيم حميد لاجراج الناس من الظلمات الى النور وهى نظام كامل للدولة سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً وستظل هى المعول عليها بإذن الله للتخلص من جميع الشرور التى فرقت المسلمين وقت وحدتهم ومزقت شملهم لا سيما فى المجتمعات التى عرفت الإسلام ثم جعلته وراءها ظهيرياً . لهذا وغيره كان الإسلام بالذات هو محل هجوم عنيف من الغزو الشيعوى الإشتراكى الخطير بقصد القضاء على مبادئه ومثله ودوله لذا فإن المجلس يوصى الدول والشعوب الإسلامية أن تتنبه إلى وجوب مكافحة هذا الخطر الداهم بالوسائل المختلفة ومنها الأمور الآتية :

(أ) إعادة النظر بأقصى السرعة فى جميع برامج ومناهج التعليم المطبقة حالياً فيها بعد أن ثبت أنه قد تسرب الى بعض هذه البرامج والمناهج أفكار إلحادية وشيوعية مسمومة مدموسة تحارب الدول الإسلامية فى عقر دارها وعلى يد نفر من أبنائها من معلمين ومؤلفين وغيرهم .

(ب) إعادة النظر بأقصى السرعة فى جميع الأجهزة فى الدول الإسلامية وبخاصة فى

دوائر الإعلام والإقتصاد والتجارة الداخلية والخارجية وأجهزة الإدارات المحلية من أجل تنقيتها وتقويمها ووضع أسسها على القواعد الإسلامية الصحيحة التي تعمل على حفظ كيان الدول والشعوب وإنقاذ المجتمعات من الحقد والبغضاء وتنتشر بينهم روح الأخوة والتعاون والصفاء .

(ج) الإهابة بالدول والشعوب الإسلامية ان تعمل على اعداد مدارس متخصصة وتكوين دعاة أمناء من أجل الإستعداد لمحاربة هذا الغزو وبشتى صوره ومقابلته بدراسات عميقة ميسرة لكل راغب بالاطلاع على حقيقة الغزو الأجنبي ومخاطره من جهة وعلى حقائق الإسلام وكنوزه من جهة ثانية ومن ثم فإن هذه المدارس وأولئك الدعاة كلما تكاثروا في أى بلد إسلامى يرجى أن يقضوا على هذه الأفكار المنحرفة الغربية وبذلك يقوم صف علمى عملى منظم واقعى من أجل التحصن ضد جميع التيارات التي تستهدف هذه البقية الباقية من مقومات الإسلام في نفوس الناس .

كما يهيب المجلس بعلماء المسلمين في كل مكان وبالمنظمات والهيئات الإسلامية في العالم أن يقوموا بمحاربة هذه الأفكار الإلحادية الخطيرة التي تستهدف دينهم وعقائدهم وشريعتهم وتريد القضاء عليهم وعلى أوطانهم وأن يوضحوا للناس حقيقة الإشتراكية والشيوعية وانهما حرب على الإسلام . والله يقول الحق وهو يهdy السبيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . ا . هـ .

وقد وقّع على هذا القرار الشيخ عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى (السابق) في المملكة العربية السعودية — والشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد والشيخ صالح بن عثيمين والشيخ محمد على الحركان (الأمين العام) . والشيخ محمد بن عبد الله السبيل — والشيخ (مصطفى الزرقاء — محمد رشيدى — محمد رشيد قباني — عبد القدوس الهاشمى) .

الخاتمة

عباد الله — لم تترك سبياً من أسباب البعد عن الله إلا وقد أخذنا عليه بالتواجد ولا سيئة من السيئات إلا واعتقناها فعاد الإسلام غريباً كما بدأ غريباً وطوى للغرباء الذين يصلحون عند فساد الأمة ويُصلحون ما أفسد الناس من السنة يأخذون لأنفسهم بأسباب النجاة ويصلون الأرض بالسماء — ويتفنون بالخلق كافة أن ﴿ أَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ واحذروا ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم : ٤٤] . يتشبهون بمؤمن آل فرعون الذى خرج يتابع المرسلين ويقول ﴿ يَا قَوْمِ مَا لِي بِهِ لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَاجِرَمَ أَنْمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسْتَدْرِكُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر : ٤٤] .

فيا قومنا أجيئوا داعى الله وآمنوا به واسلموا وجوهكم إلى خالق الأرض والسموات واتركوا المناداة بالإشتراكىة والديمقراطىة وعضوا على إسلامكم بالنواجذ واياكم وهذه المناهج والفلسفات الخربة فقد تبينتم عوارها وبوارها وعدم صلاحها فى الدنيا والآخرة وقد أمرنا أن نسمى الأشياء باسمها فالديمقراطىة والإشتراكىة ... مناهج وثنية كفرىة ، لا يصح إضافتها للإسلام ولا يصح ذكرها إلا على سبيل إبطالها ودحض مفترياتها وشبهاتها وليكن هم المسلم محاربة الشرك والثنية مهما كانت وبأى لباس تحلت فذلك الصراط المستقيم ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّى عَن بَيْنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢] . والذين قصروا أنفسهم على محاربة ألوان الوثنية القديمة غير مدركين للشرك المتمثل فى الشرود عن منهج الله والسعى وراء الأفكار الضالة مخطئون والذين يدركون خطر الجاهلية الجديدة وينكرون ويكابرون فى وجود الجاهلية الموروثة والتى تسرى فى دماء البشر فتجعل القصد لغير الله مخطئون — ومن يعرف الدين

الصحيح ويعرف الأوضاع لا يمارى في أن للجاهلية الأولى وآلهتها الزائفة بقايا في ديار المسلمين وكل رسول كان يعالج انحراف قومه ويردهم لإقامة منهج العبودية لله في أرضه . والباطل والكفر صورة مكرورة فالوثنية الأولى مازالت موجودة هنا وهناك في بلاد الزنوج والاسكيمو والملايين في أمريكا وبريطانيا مازالوا يجثون على الركب أمام تمثال العذراء طالبين البركة وآلهة الهند بالألوف والشيوعيون يتخذون من قبر لينين مطافاً ومزاراً وعندنا حتى يومنا هذا من يذبح لأبي العباس وينذر للسيد البدوى ويسجد لقبر الحسين الوهمى ويستغيث بإبراهيم الدسوقي وبالتالي فالآلهة الأولى كألوهية فرعون ونمرود والأحبار والرهبان نماذج مكرورة لم تتلاش ويخطأ كثيراً من يظن أن التقدم العلمى قادر على إزالة مثل هذا الضلال وعلى قدر علو كعب العالم اليوم في العلوم المادية فواقع الحال يقول إنه مازال منحطاً في العلوم الانسانية والدينية ﴿ يَلْمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم : ٧] . فالعلوم المادية لا تجلب الهداية بمفردها بل هى أداة يجب أن تستخدم لتعميق روح الايمان في نفوس العباد وفتح العيون على قدرة الله في خلقه « وفي كل شىء له آية .. تدل على أنه واحد » . وقضايا التوحيد لا تتجزأ فيجب التركيز عليها والإهتمام بها وترسيخها في النفوس ولا بد أيضاً من هدم الشرك ودحض الباطل في كل مظاهره وصوره وأشكاله والشرك شىء واحد تتفق صورته في أنها قصد لغير الله في التوجه والطلب والتشريع والتعظيم والتقدیس ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . وإذا كان تقديم الأهم على المهم أمر واجب فلا أهم من معرفة التوحيد وما ينافيه من الشرك سواء كانت أصناماً أو طواغيت جديدة أو تشريعات معاصرة نصب بها أصحابها أنفسهم أرباباً وآلهة مع الله ﴿ وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٢٦] .

ولتعلم أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال الإمام مالك رحمه الله — فهيا بنا نرجع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام فهذا هو سبيل سعادتنا في دنيانا وأخرانا وهو الذى يحقق لنا التقدم والحرية الحقيقية و ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء : ٣٠] . وبه نقيم حضارة على

منهج العبودية وخلافة على منهاج النبوة ونرضى به ربنا من قبل ومن بعد ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ، اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [الحديد : ١٦] . وعلينا دائماً ان نتذكر قول عمر لأبي عبيدة رضوان الله عليهما « إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » إن كلاماً كهذا يسمى في مصطلح اليوم رجعية فمن يجاهر بالرجعية ومن يؤثرها على التقدمية . حسبنا الله ونعم الوكيل فهي نصيحة واجبة نسديها وندخر ثوابها عند الله ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٩] . ونسأل الله الاخلاص في القول والعمل ونثنى عليه سبحانه بما هو أهله .

فاللهم لولا أنت ما أهدتينا ولا تصدقنا ولا صلينا
 إن العدا قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المحتوى

- ٥ مقدمة في بيان سبب تأليف هذه الرسالة
- ٧ ١ - واقع البشرية ونظريات الإصلاح :
- جيوش من المصلحين لكن تدعو إلى الانحراف
- الإلحاد صورة جاهلية حديثة
- ٩ ٢ - الصراع بين الحق والباطل :
- الأمة تعاني من حرب عسكرية وسياسية واقتصادية وفكرية
- المندوب الانجليزي : الثورة تتبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته
- هكذا حورب الإسلام بيد أبنائه
- ١٤ ٣ - ميزان وضابط :
- الصراط المستقيم أوله آدم عليه السلام
- كل نظام له عقيدة
- ١٦ ٤ - بعض خصائص وسمات الإسلام :
١ - صفة الربانية
٢ - الشمول
٣ - العموم
٤ - الجزاء
- ٢٧ ٥ - الاسلام دين الواقعية كما أنه دين المثالية :
- ٣١ الديمقراطية : معناها - نشأتها - مبادئها
- ٣٠ الليبرالية - الرأسمالية - الاشتراكية - البروليتاريا
تحذير من المصطلحات الوافدة
كيف صنع سعد زغلول ولماذا صنع ؟

الديمقراطية العلمانية اللادينية ومبدأ فصل الدين عن الدولة

العلمانية والعلمانيون في العالم الغربي والإسلامي
الجذور الفكرية والعقائدية للعلمانية اللادينية
الأفكار والمعتقدات العلمانية

الديمقراطية وقضية الحكم بما أنزل الله

خدعة « الديمقراطية حكم الشعب »

لا يكفر المعين إلا بعد قيام الحججة الرسالية

شبهة للنصارى : كيف تطبقون حكم الإسلام علينا ونحن لنا دين

يختلف عن دينكم ؟

الديمقراطية والولايات

الخلافة أو الإمامة العظمى

كيف تتعقد الإمامة عند المسلمين ؟

شروط لا بد من توافرها في الخليفة

أهل الحل والعقد وصفاتهم

تنبيهات لا بد منها:

١ — الولايات الخاصة يختار لها الأكفأ فالأكفأ

٢ — تمنع المرأة من تولي المناصب العليا

هل يجوز للمرأة دخول الانتخابات ؟

فقوى لفضيلة الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية الأسبق بعدم

جواز خوض معركة الانتخابات للمرأة

كيف استدرجوا المرأة لدخول الانتخابات ؟

٣ — في النظام الديمقراطي يتولى الفاسق والعاصي والكافر والنساء

٤ — أجمع المسلمون على أنه لا طاعة لإمام ولا لغيره في معصية

٥ — يصح للحاكم أن يعزل نفسه لموجب يقتضى ذلك

- ٦ — عدم جواز الخروج على الحاكم إلا إذا ارتكب كفراً بواحاً
- ٧ — يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر والسلطان الكافر بشرط
- ٨ — من الظلم أن نقيس الإسلام بغيره من المناهج الوضعية
- ٩ — الحاكم يحكم مدة حياته مادام قائماً بشئون الحكم محسناً في ذلك

٦٨

الديمقراطية والديكتاتورية

نرفض الاثنين ولا نرضى بالإسلام بديلاً
لا علاقة للإسلام بالطغيان
علاج الطغيان أن ننشئ شعباً مؤمناً يقدر الحرية

٧٠

أين الشورى في النظام الديمقراطي؟

محاولة إلباس الديمقراطية زياً إسلامياً
الشورى حق للأمة وواجب على الخليفة

٧٤

أين الحرية الحقيقية في النظام الديمقراطي؟

ضابط الحرية الحقيقية
صور ومظاهر للحرية الحقيقية

٧٩

الحریات الزائفة في النظام الديمقراطي

٨١ حرية الفكر هل تعني حرية الإلحاد والكفر والانحلال الخلقي والفوضى الجنسية

٨٣

الخبر الصادق وإشاعة الفاحشة

٨٤

ضوابط وحدود حرية الرأي

- ١ — بذل النصح الخالص
- ٢ — على أساس من العلم والفقہ
- ٣ — ألا يحدث فتنة
- ٤ — لا يجوز التشهير والظعن والسباب
- ٥ — لا بد من العدل
- ٦ — تربية الأفراد على معاني العقيدة الإسلامية

حرية العملك

٨٦

- الإسلام راعى الفطرة
- حدود التصرف فى المال

٨٩

- حكم الانضمام للأحزاب وبدعة تقسيم الناس إلى مؤيدين ومعارضين
- الأحزاب أثر من آثار الاستعمار لتفريق الأمة
- الثمار المرة لهذه الأحزاب
- المؤمن يوالى فى الله ويعادى فى الله

٩٣

بماذا تحكم على من ينادى بالديمقراطية ؟

- الكلمة يونانية ومعانيها كفرية
- من ينادى بالديمقراطية أنواع
- لا يجوز المسارعة بتكفير من ينادى بها
- لا يصح إعطاء الدعوة فتات وقتنا
- لا بد من معرفة الواقع والشبهات الموروثة

٩٥

نماذج للتأس وكلمات مأثورة

- أبو بكر الصديق رضى الله عنه
- عمر بن الخطاب رضى الله عنه
- عثمان بن عفان رضى الله عنه
- على بن أبى طالب رضى الله عنه
- معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه
- عمر بن عبد العزيز رحمه الله

١٠٥

علماء وأمرأء

- عبد الملك بن مروان وأبو حازم
- الحجاج وسعيد بن جبير
- سعيد بن المسيب
- مالك بن أنس

- أحمد بن حنبل
- أبو حنيفة
- شيخ الإسلام ابن تيمية
- الإمام السرخسي
- العز بن عبد السلام
- مالك بن دينار
- طاووس
- أبو مسلم الخولاني
- رسالة أبي حازم إلى الزهري

١٠١

قرار مجلس المجمع الفقهي بشأن الديمقراطية

١١٣

الحاشية

١١٦

المحتوى

الدَّعْوَةُ
الْمِيْزَانُ

بقلم
سيد عبد العظيم
عمر الله ولوالديه وسلمين